

## موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء

### دراسة تحليلية نقدية

د/ حسن أحمد محمد عبداللطيف

مدرس بقسم الفلسفة الإسلامية كلية دار العلوم جامعة المنيا

#### المستخلص

يأتي هذا البحث ليلقي الضوء على موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء بشكل عام ومن خوارق النبي الخاتم ورسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بشكل خاص، وسوف نتعرف من خلال هذا البحث على كيف أن مفهوم الخوارق يشتمل على المعجزة والكرامة وغيرها، ثم نتوقف لنكشف عن إمكانية حدوث الخوارق، ونستبين تلك العلاقة بين الخوارق والنبوة وهل هي علاقة ضرورية أم لا؟ ثم نقوم بتحليل رؤية المفكرين المسلمين لخوارق الأنبياء السابقين؛ وكيف أنهم يرون أن تلك الخوارق كانت تناسب هذه العصور القديمة حيث كان الناس في طور أقرب إلى طور الطفولية فلا يقتنعون إلا بالعجائب والخوارق المحسوسة، ونعرض لبعض تلك التأويلات التي قدمها بعض المفكرين لهذه الخوارق لتبدو موافقة للنظام الطبيعي، ثم يركز هذا البحث على موقف المفكرين المسلمين من خوارق النبي الخاتم (محمد) صلى الله عليه وسلم؛ حيث إنهم يرون أن القرآن الكريم كان المعجزة الكبرى لسيدنا محمد والتي تحدّى بها قومه والمشككسن في رسالته، ثم اختلفوا حول الخوارق المادية المنسوبة له فمنهم من أنكرها تمامًا، ومنهم من أيدها وقدم الردود على المنكرين، والبعض قدم تأويلات لكثير من هذه الخوارق مثل الإسراء والمعراج وانشقاق القمر وغيرها.

الكلمات المفتاحية: خوارق الأنبياء، تأويل المعجزات، الإسراء والمعراج، انشقاق القمر.

---

**The situation of modern Islamic thought regarding the  
supernatural aspects of the prophets, Critical analytical study**

*Dr. Hassan Ahmed Mohammed Abdellatef*

**Abstract**

This research comes to shed light on the position of modern Islamic thought on the supernaturals of the prophets in general and on the supernaturals of the Final Prophet and the Messenger of God, our Master Muhammad, may God bless him and grant him peace, in particular. We will learn through this research how the concept of the supernatural includes miracles, dignity, etc., and then we will stop to reveal the possibility The occurrence of the supernatural, and we will discover this relationship between the supernatural and prophecy and whether it is a necessary relationship or not? Then we analyze how Muslim thinkers viewed the supernatural aspects of the previous prophets. How do they see that these supernatural things were appropriate for these ancient times, when people were in a stage closer to childhood, so they were only convinced by tangible wonders and supernatural things? We present some of the interpretations that some thinkers have provided for these supernatural things to make them seem consistent with the natural order. Then this research focuses on the position of Muslim thinkers regarding the supernatural phenomena of the Final Prophet (Muhammad), may God bless him and grant him peace. Since they believe that the Holy Qur'an was the greatest miracle of our Master Muhammad, with which he challenged his people and those who were skeptical about his message, then they disagreed about the material supernatural miracles attributed to him. Some of them denied them completely, and some of them supported them and provided responses to the deniers, and some offered interpretations for many of these supernatural miracles, such as the Night Journey, the Ascension, and the split. Moon and others.

**Keywords** :Paranormal prophets ,interpretation of miracles ,Isra and Mi'raj ,splitting the moon.

## مقدمة

لا مناص من القول بأن العصر الحديث يُعدّ عصر الشكوك، فبينما تطاول العلم التجريبي وتبّنى اليقين والحتمية أساساً للعلوم الحديثة مستلهمًا في ذلك العلوم الرياضية، نجد على النقيض من ذلك أن بعض الباحثين في الأديان تمسكوا بالتشكيك، بل والرفض لكثير من العقائد الدينية.

والسؤال الذي نريد أن نطرحه هنا هو: إلى أيّ مدى تأثر التفكير الإسلامي في العصر الحديث بهذه الأفكار الغربية الحديثة وكيف أصبحت نظرة المفكرين المسلمين تجاه خوارق الأنبياء؛ هل انساقوا وراء المقولات الغربية أم كانت لهم رؤيتهم الخاصة.

## أهمية موضوع الدراسة:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى كونه يتناول قضية مهمة تتعلق بالعقائد الدينية، بل تتأسس عليها الديانة حسب رؤية الكثيرين، وهي خوارق الأنبياء، ويظهر هذا البحث كيف كانت نظرة المفكرين الإسلاميين في العصر الحديث إلى هذه الخوارق المنقولة إلينا قرآنًا وسنة.

## أسباب اختيار موضوع البحث:

تتمثل أسباب اختياري لهذا البحث في:

- ١ - خطورة وأهمية موضوع خوارق الأنبياء.
- ٢ - جدلية هذا الموضوع واستمرار النقاش حوله إلى يومنا هذا.
- ٣ - كثرة تناول المفكرين المحدثين لهذا الموضوع، وتوفر المادة العلمية فيه.

## أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

- ١ - بيان مفهوم خوارق الأنبياء.
- ٢ - توضيح مدى أهمية الخوارق وعلاقتها بالنبوة.
- ٣ - إلقاء الضوء على موقف المفكرين المسلمين المحدثين من خوارق الأنبياء.
- ٤ - إظهار العوامل التي أدت إلى قول البعض بتأويل خوارق الأنبياء.

أما اشكالية البحث فتكمن في الإجابة على التساؤلات التالية:

- ١ - ما المقصود بخوارق الأنبياء؟
- ٢ - هل حدوث الخوارق ممكن؟ وما مدى ارتباطها بالنبوة؟
- ٣ - ما هي الرؤى الجديدة للخوارق التي قدمها الفكر الإسلامي الحديث؟
- ٤ - هل جاءت تأويلات المفكرين المحدثين للخوارق مقنعة؟
- ٥ - ما هي العوامل التي ساهمت في تكوين الرؤية الجديدة تجاه خوارق الأنبياء عند المفكرين المحدثين؟

### منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الاستردادي/ التاريخي؛ حيث نسترد من التراث مقولات الأقدمين عن خوارق الأنبياء، ثم يعتمد المنهج التحليلي إذ يقوم الباحث بتحليل أقوال المفكرين واستدلالاتهم، وكذلك يعتمد المنهج النقدي؛ حيث أعرض بالنقد لكثير من مقولات المفكرين المسلمين في العصر الحديث حول خوارق الأنبياء، ثم هناك المنهج المقارن الذي يقارن بين مقولات التراثيين ومقولات المفكرين المحدثين.

### خطة البحث:

يأتي هذا البحث ليوضح موقف المفكرين المسلمين في العصر الحديث من خوارق الأنبياء، وقد جعلت عنوانه (موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء، دراسة تحليلية نقدية) وجاء في ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: خوارق الأنبياء؛ مفهوم، وإمكانية، وعلاقة بالنبوة.
  - المبحث الثاني: موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء السابقين.
  - المبحث الثالث: موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق النبي الخاتم.
- ثم خاتمة بها أهم النتائج التي توصلت إليها ويعقبها قائمة بأهم المصادر والمراجع.

## المبحث الأول:

### الخوارق: مفهوم، وإمكانية، وعلاقة بالنبوة

في هذا المبحث نحاول توضيح مفهوم الخوارق في اللغة والاصطلاح، ثم نتناول آراء القدماء والمحدثين حول إمكانية حدوثها، ونستوضح بعد ذلك علاقة الخوارق بالنبوة وهل هي ضرورية للنبوة أم لا.

#### أولاً: مفهوم الخوارق:

**لغة:** جاء في (لسان العرب) لابن منظور (ت ٧١١هـ) "خَرَقَهُ يَخْرِقُهُ خَرْقًا وَخَرَقَهُ وَخَرَّقَهُ فَتَخَرَّقَ وَانخَرَقَ وَخَرَّوَرَقَ، يَكُونُ ذَلِكَ فِي النَّوْبِ وَغَيْرِهِ" <sup>(١)</sup>، وجاء في (تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) "الْخَرْقُ الشَّقُّ فِي الْحَائِطِ وَالنَّوْبِ وَنَحْوَهُ" <sup>(٢)</sup>، ويضيف لنا المعجم الوسيط بجوار المعنى اللغوي المعنى الكلامي فقد جاء فيه "يُقَالُ سَيْفٌ خَارِقٌ قَاطِعٌ وَعِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ مَا خَالَفَ الْعَادَةَ وَهُوَ مُعْجَزٌ إِنْ قَارَنَ التَّحْدِي" <sup>(٣)</sup>، وكذلك ما جاء في (معجم اللغة العربية المعاصرة) للدكتور أحمد مختار عمر (ت ٢٠٠٣م) أن خارق مفرد وجمعه خوارق وهو اسم فاعل من خرق، وهو كل ما خرج عن العادة، وما يخرق نظام الطبيعة كالمعجزات، وما يجاوز قدرة الإنسان <sup>(٤)</sup>

إنّ فإن الخوارق تعد خروجاً عن العادة أو قل هي تخرق العادة أو نظام الطبيعة المعهود وهي بذلك تفوق قدرة البشر لأنها من فعل الله وحده.

**أما صطلاحاً:** فقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي (ت ١٩٥٤م) "الخارق الأمر الذي يخرق العادة وجمعه خوارق" <sup>(٥)</sup>.

(١) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ج ١٠، حرف القاف فصل الخاء، ص ٧٣  
 (٢) أبو منصور الأزهرى: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١م، ج ٧، ص ١٤  
 (٣) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، ج ١، مادة خرق، ص ٢٢٩  
 (٤) دكتور أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م، ج ١، مادة خرق، ص ١٣٥  
 (٥) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر بيروت، المجلد الثالث، ١٩١٠م ص ٦٩٦

وإذا أردنا توضيحًا للخارق وأنواعه ذهبنا إلى أبي البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) حيث يقول في كتابه (الكليات): "والخارق معجزة إن قارن التحدي، وإن سبقه إرهاب، وإن تأخر عنه بما يُخرجه عن المقارنة العرفية فكرامة فيما يظهر، وإن ظهر بلا تحد على يد ولي فكرامة له، أو على يد غيره فسحر أو معونة أو استدراج أو شعبة أو إهانة كما وقع لمسيمة الكذاب"<sup>(٦)</sup>.

وجاء في كتاب (كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم) للتهانوي (ت بعد ١٧٤٥م) أن الخارق في عرف العلماء هو الأمر الذي يخرق بسبب ظهوره العادة، وهو ينقسم إلى ستة أقسام؛ لأنَّ الخارق إما يظهر عن المسلم أو الكافر، والأول إما أن لا يكون مقرونًا بكمال العرفان وهو المعونة أو يكون؛ وحينئذ إما يكون مقرونًا بدعوى النبوة وهو المعجزة أولاً، وحينئذ لا يخلو إما أن يكون ظاهرًا من النبي قبل دعواه وهو الإرهاب أولاً، وهو الكرامة، والثاني وهو الظاهر على يد الكافر إما أن يكون موافقًا لدعواه وهو الاستدراج أولاً، وهو الإهانة<sup>(٧)</sup>.

إن فالخوارق اسم عام يندرج تحته المعجزة والإرهاب والكرامة وكل ذلك يحدث للنبي، والكرامة والمعونة تحدث للأولياء وعوام المسلمين، بينما الاستدراج يحدث لمدعي النبوة الكاذب وكذلك الإهانة، أما السحر فليس من الخوارق لأن السحر يتم تعلّمه وتعليمه وهو وبذلك يخرج من كونه من الخوارق.

أما ما يهمننا من هذه الخوارق فهو ما يحدث للأنبياء والرسول عليهم السلام، سواءً كان إرهابًا قبل النبوة أو معجزة بعد النبوة مع التحدي، أو كرامة بدون تحدٍ.

قال ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) عند حديثه عن علامات النبوة "ومن علاماتهم أيضًا وقوع الخوارق لهم شاهدة بصدقهم وهي أفعال يعجز البشر عن مثلها فسميت بذلك معجزة وليست من جنس مقدور العباد وإنما تقع في غير محل قدرتهم وللناس في كيفية وقوعها ودلالاتها على تصديق الأنبياء خلاف"<sup>(٨)</sup>.

(٦) أبو البقاء الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المحقق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٤٣٣

(٧) التهانوي: كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، تحقيق د/علي الدحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦، ج ١، ص ٧٣٠

(٨) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن، والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م، ج ١، ص ١١٨

إذن فالخوارق من علامات النبوة وتشهد على صدق الأنبياء وهي أفعال يعجز عن فعلها البشر ولذلك قد أسموها معجزات أيضاً.

أما ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) فقد ذكر أن الأمر الخارق للعادة يندرج تحته كل من المعجزة والكرامة وكان المتقدمون يسمون الجميع بالآيات ولكن المتأخرين خصّوا النبي بالمعجزة والولي بالكرامة<sup>(٩)</sup>. إذن فإن خرق العادة ليس مختصاً بالمعجزة وحدها بل إن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعادة ولكن المعجزة تكون للنبي ويشترط فيها التحدي ولا يكون ذلك في الكرامة.

ويؤكد الشيخ مصطفى صبري (ت ١٩٥٤م) أن الوارد في القرآن هو لفظ الآية والبرهان والبيّنة والحق والسلطان والفرقان<sup>(١٠)</sup> ولم ترد لفظة الخارق أو المعجزة أو الكرامة.

وأما عند رشيد رضا (ت ١٩٣٥م) فإن آيات النبوة أعم من المعجزات، فمن آيات نبوته بشائر الأنبياء السابقة وهي لا تسمى معجزات<sup>(١١)</sup>، ويفرق حسن حنفي (ت ٢٠٢١م) بين الآية والمعجزة: فالآية تتفق مع قوانين الطبيعة والعقل، في حين أن المعجزة \_ في رأيه \_ ضد قوانين الطبيعة والعقل<sup>(١٢)</sup>. ولذلك قسّم رشيد رضا (ت ١٩٣٥م) الخوارق قسمين؛ أولهما أن الخارق يأتي على خلاف سنن الكون المعروفة؛ ومثاله العلم والتهديب اللذين كان عليهما رسول الله \_ صلى الله عليه وسلم \_، ومنه إحياء الموتى لعيسى وعصا موسى عليهما السلام، وثانيهما أن الخارق لا تعرف له سنة طبيعية يندرج فيها، ومثاله المكاشفات ومعرفة بعض الأمور قبل وقوعها؛ فإن للنفوس البشرية والأرواح الإنسانية استعداداً لهذا الأمر، والله تعالى فيه سنة روحية مخصوصة كسائر السنن الكونية، ولكن هذه السنّة لم تنزل من الأمور الغامضة<sup>(١٣)</sup>.

وفيما يلي نستوضح \_ باختصار \_ معنى كل من المعجزة والكرامة والإرهاص وهي كلها خوارق تحدث للأنبياء.

(٩) انظر ابن تيمية: مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،

المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ج ١١، ص ٣١٢

(١٠) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تحقيق أنور الباز، وعامر

الجزار، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ج ٤، ص ١٢٤

(١١) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٣٢٧هـ، الطبعة الثانية، المجلد السادس، ص ٦٧

(١٢) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م، المجلد الرابع من النبوة إلى المعاد، ٧٣

(١٣) انظر محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الثاني، ص ٤١٧

## أولاً: المعجزة

إذا استعرضنا تعريف المعجزة عند القدماء والمحدثين عرفنا أنها تتدرج تحت خوارق العادة وأنها تكون من فعل الله وحده تأييداً لنبي من أنبيائه؛ حيث يرى الباقلاني (ت ٤٠٢هـ) أن المعجز الحقيقي هو ما ينفرد الله بالقدرة عليه ولا يصح دخوله تحت قدرة الخلق من الملائكة والبشر والجن<sup>(١٤)</sup>، ونجد تعريفها عند فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) بأنها: "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة"<sup>(١٥)</sup> بينما عند الإيجي (ت ٧٥٦هـ) المعجزة هي "ما قصد به إظهار صدق من ادّعى أنه رسول الله"<sup>(١٦)</sup>، وعند التفنازاني (ت ٧٩٢هـ) هي "أمر يظهر بخلاف العادة على يدي مدّعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يعجز المنكرين عن الإتيان بمثله"<sup>(١٧)</sup>، وقريب منه تعريف القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥هـ) بأنها: "ما من حقه أن يكون من فعله تعالى ويحدث عند ادّعاء النبي النبوة، ويكون ناقضاً للعادة، فيعلم أنه تعالى فعله على سبيل التصديق له فيما ادّعاء من النبوة"<sup>(١٨)</sup>، كذلك تعريفها عند الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بأنها: "أمر خارق للعادة داعٍ إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادّعى أنه رسول من الله"<sup>(١٩)</sup>.

ويربط رشيد رضا (ت ١٩٣٥م) بين خرق العادة والمعجزة حين يذكر تعريف المعجزة كما وردت في قاموس الكتاب المقدس وكونها ضرورية لتقوية الدين ويسمونها في الكتاب المقدس (عجيبة) وهي: حادثة تحدث بقوة إلهية خارقة مجرى العادة الطبيعية لإثبات إرسالية من جرب على يده أو فيه، وتكون فوق الطبيعة لا ضدها، وتحدث بتوقيف سنن الطبيعة لا بمعاكستها، ويناط فعل العجائب بالله وحده أو بمن يسمح له بذلك، ولا بد من العجائب لتعزيز الديانة؛ فكثيراً ما يستشهد

(١٤) الباقلاني: كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنانجات، صححه ونشره

الأب ريتشارد يوسف مكارثي اليسوعي، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٨م، ص ٨

(١٥) فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٢٩هـ، ص ٢٠٧

(١٦) عضد الدين الإيجي: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٣٩

(١٧) سعد الدين التفنازاني: شرح العقائد النسفية، مكتبة النشر للطباعة والنشر، كراتشي باكستان، ١٤٣٠هـ، ص ٣١٦-٣١٥

(١٨) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، ضمن كتاب رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص ٢٦٥

(١٩) الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، ص ٢١٩

المسيح بعجائبه لإثبات لاهوته وكونه المسيح، وكان يفعلها لتمجيد الله ولهداية نفوس الناس ومنفعة أبادانهم، وكان يفعلها أمام جماهير أصحابه وأعدائه ولم ينكروها<sup>(٢٠)</sup>.

ونلاحظ هذا الترابط بين خرق العادة والمعجزة لدى محمد فريد وجدي (ت ١٩٥٤م) حين يعرفها بقوله إنها: "الأمر الخارق للعادة الذي يحصل على يد نبي مرسل إدلالاً على صدق رسالته"<sup>(٢١)</sup>، ومثله أيضاً تعريف الشيخ محمد متولي الشعراوي (ت ١٩٩٨م) بأنها: "خرق لنواميس الكون أو لقوانين الكون يعطيها الله سبحانه وتعالى لرسله ليدل على منهجه ويثبتهم فيه ويؤكد للناس أنهم رسله تؤيدهم السماء وتتصرهم، والسماء حين تؤيد وتتصر تقف قوانين البشر عاجزة لا تستطيع أن تفعل شيئاً"<sup>(٢٢)</sup>.

وحين وضع المتكلمون والمفكرون شروطاً للمعجز، جعلوا منها أن يكون خارقاً للعادة بجوار شروط أخرى منها أن أن يكون فعل الله، وأن يتعذر معارضته، وأن يكون ظاهراً على يد مدعي النبوة ليعلم أنه تصديق له، وكذلك التحدي\_ ولم يشترطه البعض\_، وأن يكون موافقاً للدعوى، وألا يكون ما ادعاه وأظهره مكذباً له، وأن لا يكون متقدماً على الدعوى بل مقارناً لها<sup>(٢٣)</sup>.

ويشترط محمد عبده (ت ١٩٠٥م) للمعجزة التحدي، والاقتران بدعوى النبوة<sup>(٢٤)</sup>.

ولزيادة توضيح مفهوم المعجزة بيّنوا أنواع المعجزات، فهذا أبو البقاء الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) يوضح أن هناك:

١ - المعجزة الحسية: كإحياء الموتى ونبع الماء من الأصابع وهي للعوام.

٢ - والمعجزة العقلية: كالعلم بالمغيبات وهي لأولي الألباب.

٣ - والمعجزة الذوقية الحدسية: كالقرآن وهي لأرباب القلوب.

(٢٠) انظر محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ، ص ١٠٥، ١٠٦.

(٢١) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، المجلد السادس، ص ٢٠٠.

(٢٢) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، دار أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٣م ص ٦.

(٢٣) الباقلاني: البيان، ص ٢٨-٢٧، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي: المواقف، ص ٣٣٩-٣٤٠، وقد جعلها القرطبي خمسة شروط، انظر الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٦٩، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢٤) محمد عبده: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص ٨٢.

وفي رأيه أن الأولى أقوى ثم الثانية ثم الثالثة وفي الباطن والشرف على العكس والإيمان بسبب الأولى أقل ثوابًا وتركه أشد عقابًا ثم الثانية ثم الثالثة فهو أكثر ثوابًا وتركه أقل عقابًا لأن الإيمان بالغيب أقوى والمعجزة الظاهرة إدراكها أسهل<sup>(٢٥)</sup>.

وبذلك يتضح أن المعجزة هي إحدى الخوارق التي يختص بهاء الأنبياء ولا تكون لغيرهم وتأتي بعد النبوة ويكون فيها التحدى وهذا ما يميزها عن بقية الخوارق.

### الإرهاص:

ذكر الجرجاني في تعريفاته ثلاثة تعريفات للإرهاص<sup>(٢٦)</sup>:

الأول: ما يظهر من الخوارق عن النبي قبل ظهوره، كالنور الذي كان كان يظهر في جبين آباء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الثاني: إحدات أمر خارق للعادة دال على بعثة نبي قبل بعثته.

الثالث: هو ما يصدر من النبي قبل النبوة من أمر خارق للعادة.

فالإرهاص من الخوارق التي يختص بها الأنبياء ويتميز الإرهاص عن المعجزة بأنه يكون قبل النبوة ولا يكون به تحدٍ من الرسول، وقد يحدث في زمن قبل مولده كحادثة الفيل وهلاك أبرهة وجيشه بالطير الأبابيل<sup>(٢٧)</sup>، وقد يحدث الإرهاص في مكان ليس فيه الرسول مثلما حدث لإيوان كسرى ونار فارس فقد روى أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ) أنه لما كانت الليلة التي وُلِدَ فيها رسولُ الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ارتجَسَ إيوانُ كِسْرَى، وَسَقَطَتْ مِنْهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وَخَمَدَتْ نَارَ فَارِسَ، وَلَمْ تَحْمُدْ قَبْلَ ذَلِكَ<sup>(٢٨)</sup>، وقد يحدث الإرهاص لغير شخص النبي كما حدث لأم نبينا حيث رَأَتْ جِبْنَ وَضَعَتْهُ نُورًا أَضَاعَتْ لَهُ فُصُورُ الشَّامِ<sup>(٢٩)</sup>.

(٢٥) أبو البقاء الكفوي: المرجع السابق، ص ١٥٠

(٢٦) الجرجاني: المرجع السابق، ص ١٦

(٢٧) الخبر رواه ابن هشام في «السيرة»، ودلائل النبوة لأبي نعيم، ونقله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية»، ورواه البيهقي في دلائل النبوة، ومشهور في تفسير سورة الفيل في كتب التفسير.

(٢٨) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلجعي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج ١، ص ١٢٦

(٢٩) الحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»، والحاكم في «المستدرک»، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد»، وأقره الذهبي، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد»، وقال: «رواه أحمد، والطبراني، والبخاري، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح، غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان. ورواه البيهقي في دلائل النبوة.

## ثالثاً: الكرامة

عرّف الجرجاني الكرامة بقوله: "هي ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة، فما لا يكون مقروناً بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجاً، وما يكون مقروناً بدعوى النبوة يكون معجزة"<sup>(٣٠)</sup>

وهذا تعريف يظهر منه أن الكرامة من الخوارق، ولكنه يجعلها للصالحين من غير الأنبياء.

وقال التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) "أما ما يصدر من غير الأنبياء مقروناً بكمال الإيمان والتقوى والمعرفة والاستقامة فهو ما يقال له كرامة، وما يقع من عوامّ المؤمنين فيسمى معونة، وأما ذلك الذي يقع من الكفار والفساق فهو استدراج"<sup>(٣١)</sup>

ولكن الحق أن الكرامة تكون للأنبياء كما تكون للأولياء وهذا ما نص عليه القاضي أبو بكر الأشعري فقد نقل عنه القشيري (ت ٤٦٥هـ) قوله: "إن المعجزات تختص بالأنبياء، والكرامات تكون للأولياء كما تكون للأنبياء"<sup>(٣٢)</sup>، كذلك نجد ابن رشد (ت 595هـ) يسمي الخوارق الحسية التي ظهرت على يد النبي ولم يتحدّ بها بالكرامات<sup>(٣٣)</sup>، وعند الإيجي (ت ٧٥٦هـ) فإن ما حدث للنبي قبل البعثة مثل شق الصدر وإظلال الغمامة وغير ذلك هو كرامة للنبي<sup>(٣٤)</sup>.

وبذلك يتضح أن معنى خوارق الأنبياء يشمل كل ما وقع للأنبياء من خوارق للطبيعة والعادة، سواء كانت إرهابات، وهو ما كان قبل النبوة، أو معجزة يتحدى بها النبي ويُعجز قومه بها، أو كرامة، وهو ما يحدث للنبي الخوارق، ولا يكون معجزة يتحدى بها، وهي أكثر ما حدث للأنبياء، وقد أطلق عليها البعض معجزة على سبيل التجاوز، إذ إن المعجزة هي ما يتحدى به النبي حسب المفهوم الكلامي المعروف.

وبذلك يتضح لماذا اختار الباحث لفظ الخوارق ذلك لكونه شاملاً لكل ما يحدث للأنبياء بينما لفظ معجزة يدل كما عرفنا على الخارق الذي يتحدى به النبي، وقد عرفنا أن الأنبياء تحدث لهم

(٣٠) الجرجاني: المرجع السابق، ص ١٨٤

(٣١) التهانوي، المرجع السابق، ج١ ص ١٥٠

(٣٢) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود ود. محمود الشريف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ج٢ ص ٥٢١

(٣٣) ابن رشد: مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق د/محمود قاسم، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٤م، ص ٢١٣

(٣٤) عضد الدين الإيجي: المرجع السابق، ص ٣٤٠

خوارق لا يتحدون بها، وهي أغلب ما حدث لهم حيث تأتي الخوارق معونة أو نصراً أو حفظاً وبدون تحدٍ فهذه الخوارق تكون كرامة للنبي وما يحدث قبل نبوته ويتعلق به يكون إرهاباً.

### ثانياً: إمكانية الخوارق

كتب أبو حامد الغزالي (ت 505هـ) في (تهافت الفلاسفة) مثبتاً إمكانية خرق العادات وأنها ليست من المحالات العقلية، ودليله على ذلك:

١- أن المادة قابلة لكل شيء فيمكن قلب العصا حية ذلك لأن التراب يستحيل نباتاً والنبات يأكله الحيوان فيستحيل دمًا والدم يستحيل منياً والمنى يبتلىق حيواناً في الرحم وهكذا عبر هذه الأطوار يتحول التراب إلى حيوان فلا مانع إذن أن الله يختصر الوقت ويحيل المادة حيواناً وتكون معجزة للنبي<sup>(٣٥)</sup>.

٢ - "إن من استقرأ عجائب العلوم لم يستبعد من قدرة الله تعالى ما يُحكى من معجزات الأنبياء عليهم السلام"<sup>(٣٦)</sup>

ومعنى ذلك أن الخوارق والمعجزات تجري وفق القوانين الطبيعية، ولكن الكثير من الناس لا يعرفون هذه القوانين ولذلك ينكرون الخوارق والمعجزات.

3 - ومن المعلوم أن (الغزالي) لكي يثبت إمكانية حدوث خوارق الأنبياء قال برفض الاقتران الضروري بين الأسباب والمسببات، لأنه في رأيه أن القول بهذا الاقتران الضروري يؤدي إلى رفض المعجزات والقول باستحالتها، وهذا في رأيه ما قالت به الفلاسفة حيث نسب إليهم إنكار المعجزات ثم تأويل ما جاء في القرآن منها<sup>(٣٧)</sup> وقد ذكر استدلالهم على عدم إمكانية معجزة نجات سيدنا إبراهيم من النار ثم فنده<sup>(٣٨)</sup>.

(٣٥) أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الثامنة، ١٩٧٢م، ص ٢٤٦

(٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٤٨

(٣٧) المصدر نفسه، ص ٢٣٦

(٣٨) المصدر نفسه، ٢٤٣

لكن (ابن رشد:ت595هـ) ينكر هذه التهمة مؤكداً أن الفلاسفة لم يتعرضوا للمعجزات لأنها مبادئ الشرائع، والفاحص عنها أو المشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم وأن المعجزات أمر إلهي لا تدرك حقيقته العقول البشرية<sup>(٣٩)</sup>، وأن من أنكر المعجزات هم زنادقة الإسلام وليس الفلاسفة<sup>(٤٠)</sup>.

نعم لم يرد عن الفلاسفة إنكار المعجزات فهذا ابن سينا (ت٤٢٧هـ) \_ الذي يشتد الغزالي في انتقاده ويجعله الممثل الأول للفلاسفة \_ تكلم عن وقوع المعجزات ونصح بأنه لا يصح المسارعة إلى إنكار ما يصل إلينا من الغرائب والعجائب ما لم يقم برهان على استحالتها<sup>(٤١)</sup>، ولكنه يجعل معجزات الأنبياء تحدث نتيجة قواهم النفسية المجبولون عليها<sup>(٤٢)</sup>.

إذن فالفلاسفة وخاصة المسلمون منهم بريئون من هذه التهمة فهم رغم قولهم بالترابط الضروري بين الأسباب والمسببات لم يُعرف عنهم إنكار خوارق الأنبياء، وعلى هذا فإن خوارق العادات ثابتة عند من يقول بالسببية وعند من ينكرها.

ولكننا نجد الملاحدة هم الذين تكلموا في خوارق الأنبياء مثل ابن الراوندي (ت301هـ) فقد ذكر أبوالحسين الخياط (ت300هـ) أن له كتاباً اسمه (الزمرد) قال فيه إن آيات الانبياء ما هي إلا مخاريق ومن جاءوا بها كانوا سحرة ممخرقين<sup>(٤٣)</sup> وقد كتب في الرد عليه داعي دعاة الإسماعيلية هبة الله الشيرازي (ت470هـ) في كتابه (المجالس المؤيدية)، وكذلك من هؤلاء الملاحدة أبو بكر الرازي الطبيب (ت311هـ) حيث كتب كتابين في الهجوم على النبوة والمعجزات الأول أسماه (مخاريق الأنبياء أو حيل المتنبيين) والثاني هو (نقض الأديان أو في النبوات)<sup>(٤٤)</sup> وقد ردّ عليه داعي الإسماعيلية (أبو حاتم الرازي:ت322هـ) في كتابه (أعلام النبوة، الرد على الملحد أبي بكر الرازي).

والحقيقة أن إنكار خوارق الأنبياء ظهر بشكل واضح في العصر الحديث، وبدا في ظاهره كأنه متوافق مع العلم المادي الحديث، فقد اقتنع فلاسفة العصر الحديث وعلماءه أن هذا العالم يسير وفق قوانين وقواعد لا تتغير أبداً، وأنه لا يمكن أن يتدخل في عمل الطبيعة أحد، وليس هناك غايات

(٣٩) ابن رشد: تهافت التهافت، تحقيق د/ سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م، القسم الثاني، ص ٧٧٣ (٤٠) المصدر نفسه، ص ٧٩١

(٤١) ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، تحقيق د/ سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، 1968، الطبعة الثانية، القسم الرابع، التصوف، ص 116، 150

(٤٢) المصدر نفسه، ص 158، وما بعدها

(٤٣) أبو الحسين الخياط: الرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق دكتور نبيرج، مكتبة الدار العربية للكتاب- القاهرة، أوراق شرقية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص ٢-٣

(٤٤) إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦، ص ٨٩

أو أهداف لأحداث وأعمال الطبيعة خيراً كانت أو شراً<sup>(٤٥)</sup> وأصبح من العسير على الإنسان المعاصر الذي لم يدرك حوله البعد الإلهي أن يفهم الأحداث التي أسست الديانات الكبرى ومن ضمنها المعجزات<sup>(٤٦)</sup>.

وهذا ما نبّه إليه (رشيد رضا:ت1935هـ) من أن الخوارق وأمثالها مما ينقّر العلماء عن الدين في هذا العصر<sup>(٤٧)</sup>.

لقد هاجم الفلاسفة العقليون المعجزات وخاصة (ديفيد هيوم:ت1776م) ففي رأيه أن المعجزة خرق للمسالك العام للطبيعة وهي بذلك لا يمكن حدوثها، وكذلك لا يمكن التصديق بها لأن روايات المعجزات تعرضت للتحريف مثل بقية الروايات التاريخية التي جاءت عبر عصور كانت جاهلة بأدنى معرفة بالتوثيق والنقد التاريخي، وكذلك عدم توافر التواتر في هذه الروايات، كما زعم أن الإيمان بالخوارق لا يشيع إلا بين الأمم الجاهلة<sup>(٤٨)</sup>.

ويقرر (هيوم:ت1776م) في كتاب (مبحث في الفاهمة البشرية) " أنه لا يمكن لأي شهادة بشرية أن يكون لها ما يكفي من القوة لإثبات معجزة"<sup>(٤٩)</sup>، ويقول "إن أي شهادة لا تكفي لإثبات معجزة إلا إذا كانت الشهادة من النوع الذي يكون كذبها أكثر إعجازاً من الواقع التي تحاول إثباتها وحتى في هذه الحالة يحصل دحض متبادل للحجج وتعطينا الحجة الأقوى وحدها يقينا متناسبا مع درجة القوة الباقية بعد طرح القوة الأضعف"<sup>(٥٠)</sup>

من العجيب أن (ديفيد هيوم:ت1776م) من أبرز الرافضين للفكرة القائلة بالترابط الضروري بين الأسباب والمسببات؛ إذ يقول: "عندما ننظر خارجنا نحو الأشياء الخارجية ونتأمل في عمل الأسباب لا نكون قادرين البتة على أن نكتشف من حالة واحدة قدرة أو اقتراناً ضرورياً أي خاصية تقرن الأثر إلى السبب وتجعل من الواحد النتيجة المحتملة للآخر، وسنجد فقط أن الواحد يلي الآخر

(٤٥) جون هرمان راندال : تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ترجمة د. جورج طعمة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م، ص ٣٦٠

(٤٦) رون هالبير: العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار، الجهود الفلسفية عند محمد أركون، ترجمة جمال شحيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ط١، ٢٠٠١م، ص ٣٧

(٤٧) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١٠٥

(٤٨) د/ محمد عثمان الخشت: الدين والميتافيزيقا عند هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م، ص ٣١

(٤٩) ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة د.موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ١٧٤

(٥٠) المصدر نفسه، ص ١٥٩-١٦٠

بالفعل في الواقع<sup>(٥١)</sup> وهذا يوضح أن "الأسباب والمسببات لا تكتشف بالعقل بل بالخبرة"<sup>(٥٢)</sup>. وهو في هذا يوافق (الغزالي: 505هـ) إلا أن (الغزالي) أنكر هذا الترابط الضروري ليجعل المعجزة ممكنة، ولكن (هيوم) رغم اعتناقه هذه الفكرة إلا إنه لا يرى إمكانية المعجزة!

من المؤكد أن محمد أسد (ت1992م) تأثر بهذا الاتجاه في الفكر الغربي فهو وليد هذه الثقافة، ولذلك نراه يصرح بإنكار وقوع المعجزات، ويعدها مجرد أساطير، ويعلل وجود هذه المعجزات أو الأساطير المنسوبة للأنبياء في القرآن لكونها كانت ضاربة بجذورها في عقول الناس في ذلك الزمان؛ فاستخدمها القرآن لبيث تعاليمه العقديّة والأخلاقية ودون أن يؤكد صحتها أو يدحضها، ثم يعطي تأويلات للمعجزات؛ فالحوت الذي ابتلع يونس عليه السلام هو رمز للنعم والكرب الذي وقع فيه ويفسر الطير الأبايل كما فسرها الإمام محمد عبده<sup>(٥٣)</sup>. وإني لأعجب أشد العجب من قول محمد أسد إن معجزات الأنبياء كانت مجرد أساطير متداولة في البيئة العربية فاستخدمها القرآن لنشر تعاليمه أليس ذلك يعني أن القرآن أساطير الأولين كما زعم الكافرون {وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (الفرقان: ٥).

وخوارق الأنبياء عند محمد عبده (ت1905م) ممكنة، ودليله على ذلك: أنها ليست من نوع المستحيل عقلاً لأنّ مخالفة السير الطبيعي المعروف في الإيجاد مما لم يقدّم دليل على استحالة بل ذلك مما يقع، ومن يقول إن ذلك لا بد أن يكون تابعاً لناموس آخر طبيعي؛ يقول له (محمد عبده) إن واضع الناموس هو (الله) وهو موجد الكائنات فليس من المحال عليه أن يضع نواميس خاصة بخوارق العادات غاية ما في الأمر أننا لا نعرفها، ولكننا نرى أثرها على يد من اختصه الله بفضل من عنده على أننا بعد الاعتقاد بأن صانع الكون قادر مختار يسهل علينا العلم بأنه لا يمتنع عليه أن يحدث الحادث على أي هيئة وتابعاً لأي سبب إذا سبق في علمه أنه يحدثه كذلك<sup>(٥٤)</sup>.

ويوضح مذهبه أيضاً في إمكانية خوارق الأنبياء وكون الاعتقاد بها لا ينافي الاعتقاد بالقوانين الطبيعية المطردة ما جاء عنه في (تفسير المنار) من أن الخوارق الجائزة عقلاً، أي التي ليس فيها

(٥١) المصدر نفسه، ص ٩٥

(٥٢) المصدر نفسه، ص ٥٢

(٥٣) محمد أسد: رسالة القرآن، ص ٦٦، ٩٨٩، نقلاً عن د/سيد حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ج ٢، دار ماجد عيري للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ص ١٧٧

(٥٤) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص ٨١، ٨٢

اجتماع النقيضين، ولا ارتفاعهما لا مانع من وقوعها بقدرة الله في يد نبي من الأنبياء، ثم يؤكد على أنه يجب أن نؤمن بها على ظاهرها، ثم إنه يجب ألا يمنعنا هذا الإيمان من الاهتداء بسنن الله في الخلق واعتقاد أنها لا تتبدل ولا تتحول<sup>(٥٥)</sup>.

وعند رشيد رضا (ت1935م) أن العقل لا يمنع إلا وقوع المحال، وعلى ذلك لا يمكن أن يُؤيد نبي بما هو مستحيل عقلا؛ وعلى ذلك فما وقع لا يكون مستحيلا، ولذلك سمى المتكلمون المعجزات خوارق العادات، ثم أوضح خلاف المتكلمين حول كيف تحدث خوارق العادات فيذكر أن منهم من يعتقد أن المعجزة لها أسباب خفية روحية، ولكن المشهور عندهم أن الله يخلقها بغير سبب لتدل على أن السنن والنواميس لا تحكّم على واضعها، وإنما هو الحاكم المتصرف بها، وإنما كان هذا هو المشهور؛ لأنه الظاهر وإلا فمن ذا الذي يستطيع أن ينفي ذلك النفي المطلق عن عالم الغيب؟<sup>(٥٦)</sup>.

ويتابع الشيخ مصطفى صبري (ت1954م) منهج (الغزالي:505هـ) ويؤكد كالأشاعرة أن الفاعل الحقيقي هو الله لا الأسباب المادية فليست النار هي الحارقة وإنما هو الله، والقوانين الطبيعية ليست ضرورية ضرورة منطقية حتى لا يمكن مخالفتها، ويستشهد بأقوال علماء يؤكدون أنه لا يوجد محال طبيعي تجريبي، وقدرة الله تتعلق بكل الممكنات ولا تتعلق بالمحال عقلا كالجمع بين النقيضين<sup>(٥٧)</sup>.

أما فريد وجدي (ت1954م) فيستنكر موقف المنكرين للمعجزات ويحصرهم في أولئك الماديين الذين وقفوا بمعرفتهم مع النظرة المادية التي صارت قديمة الآن ولم يطلّعوا على مقررات العلم المعاصر الذي أقر بوجود أمور لا تسير وفق قوانين الطبيعة مثل التتويم المغناطيسي واستحضار الأرواح والتأثير في الأشياء عن بعد<sup>(٥٨)</sup>. ونلاحظ هنا ذلك القياس مع الفارق؛ فليست معجزات الأنبياء وخوارقهم من باب التتويم المغناطيسي أو استحضار الأرواح وغيرها فتلك أمور يتم تعلّمها وتلقينها بينما معجزات الأنبياء بخلاف ذلك.

(٥٥) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج١، ص ٢٦١

(٥٦) المصدر نفسه، ص ٢٦١، ٢٦٢

(٥٧) مصطفى صبري: مرجع سابق، ج٤، ص ٣١، ٣٢، ٣٣

(٥٨) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثالث ٦٩٦، المجلد السادس، ص ٢٠٢

وبذلك يتضح لنا أن خوارق الأنبياء من الجائز عقلاً أي ليست من المحال العقلي ليكون الإيمان بها تناقضاً مع العقل، وإنما تبدو لنا خارقة لقوانين الطبيعة التي نعرفها، وليست خارقة لقوانين العقل

### ثالثاً: علاقة الخوارق بالنبوة

خوارق العادات وخاصة المعجزة كما أوضح الدكتور محمد عثمان الخشت هي أحد مرتكزات الدين التي يقوم عليها أي دين<sup>(٥٩)</sup>، ولذلك يرى الدكتور عبد الرحمن بدوي (ت2002م) أن مسألة المسائل في علم النبوات الإسلامي هي مسألة المعجزات<sup>(٦٠)</sup>، ومن أجل هذا شغلت مسألة المعجزات المركز الأول في البحوث الكلامية في النصف الأول في القرن الثالث الهجري<sup>(٦١)</sup>.

إن خرق العادة/ المعجزة حسب الرؤية التراثية لها مكانها المحوري في معرفة النبوة، فهي الدالة على النبوة، وهي برهان الأنبياء عند المتكلمين لذلك يرى القاضي عبد الجبار (ت415هـ) وجوب معرفة المعجزات وصفتها للمؤمن لكونها الدالة على النبوة<sup>(٦٢)</sup>، وهي عند ابن حزم (ت456هـ) برهان صدق النبوة لأنه لما سأل الناس الرسل عن صدق ما ادّعوه من كونهم رسل الله أتوا بأعمال هي خلاف لطباع ما في العالم لا يمكن أن يقدر عليها مخلوق، فصحَّ ضرورة أن الله تعالى شهد لهم بما أظهر على أيديهم<sup>(٦٣)</sup>، والمعجزة عند ابن سينا (ت427هـ) واجبة لتمييز النبي عن غيره حيث يقول: "فواجب إذاً أن يوجد نبي وواجب أن يكون إنساناً وواجب أن تكون له خصوصية ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمراً ليس يوجد لهم فيتميز به عنهم فتكون له المعجزات التي أخبرنا بها"<sup>(٦٤)</sup>.

(٥٩) محمد عثمان الخشت: مرجع سابق ص ٢٥

(٦٠) عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، هامش ص ١٢٤

(٦١) المرجع نفسه، ١٤٠

(٦٢) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، ص ٢٦٣، والمعني في أبواب التوحيد والعدل، ج ١٥ التنبؤات والمعجزات، تحقيق، محمود الخضيرى، محمود محمد قاسم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،

١٣٨٥هـ، ١٩٦٥م ص ١٤٧ وما بعدها

(٦٣) ابن حزم: المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار، دار الكتب العلمية - بيروت، سنة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ج ١ ص ١١ وما بعدها

(٦٤) ابن سينا: كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، نقحه وقدم له د/ ماجد فخري، منشورات دار الأفق الجديدة بيروت، ص ٣٣٩

ويرى محمد عبده (ت1905م) أن الأنبياء يستندون في دعواهم النبوة إلى المعجزة، فهي تأييد من الله للنبي فمتى ظهرت المعجزة وقارن ظهورها دعوى النبوة علم بالضرورة أن الله ما أظهرها إلا تصديقاً لمن ظهرت على يده وإن كان هذا العلم قد يقارنه الإنكار مكابرة<sup>(٦٥)</sup>، ويرى الأستاذ الإمام أن على المؤمن أن يؤمن بأن الرسل مؤيدون من العناية الإلهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة البشرية وأن هذا الأمر الفائق المعروف للبشر هو المعجزة الدالة على صدق النبي في دعواه فمتى ادّعى الرسول النبوة واستدل عليها بالمعجزة وجب التصديق برسالته<sup>(٦٦)</sup>، فدعوى النبوة والرسالة إذن عند محمد عبده تحتاج إلى خارق بخلاف الدعوة إلى توحيد الله فطريقها هو النظر العقلي وحده، ولكنه يجعل القرآن وحده هو هذا الخارق الذي نعول عليه في إثبات نبوة رسولنا الكريم، لأنه هو الذي تواتر خبره، ولم ينقطع أثره<sup>(٦٧)</sup>.

كذلك رشيد رضا (ت1935م) يرى أن الآيات أو المعجزات يؤيد الله بها الرسل لأجل إذعان الناس لهم وقبول دعوتهم، فالقصد منها الحمل على قبول الدعوة والإذعان للرسالة وإقامة الحجة البالغة على المعاندين<sup>(٦٨)</sup>.

وبيين (رشيد رضا) كيف أنّ البشر كانوا في حاجة إلى ظهور الخوارق والمعجزات قديماً فقد كانت هذه الخوارق في أزمنة تحقّق فيها أن البشر كانوا في أشد الحاجة إليها، وثبت أيضاً أنهم انتفعوا بها، ذلك لأنهم كانوا لم يرتقوا إلى معرفة العقائد ببراينها، وقد كانوا ألعيب في أيدي السحرة فأنقذهم الأنبياء بتأييد الله، وعلموهم أن أولئك السحرة قوم مبطلون وأن التصرف فيما وراء الأسباب خاص بالله تعالى وحده وأن تلك الأعمال التي يظهر بادي الرأي أنها عن اقتدار إنما هي { كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } (طه: 69)، ولولا أن جاء كل نبي بمعجزة أو أكثر لما تسنى له جذب أولئك القوم الغلف القلوب، الغلاظ الرقاب، الضعاف الاستعداد<sup>(٦٩)</sup>.

(٦٥) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص ٨٢

(٦٦) المرجع نفسه ص ٨١، ٨٠

(٦٧) محمد عبده: الأعمال الكاملة: الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ٢٩٨

(٦٨) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد الرابع، ص ٣٧١

(٦٩) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص ١٦-١٧

وفي رأي الشيخ مصطفى صبرى (ت1954م) أن نظام العالم هو دليل على وجود الله، وتغيير نظام العالم بالمعجزة دليل على وجود الأنبياء<sup>(٧٠)</sup>، ولأهمية المعجزة للنبوة وارتباطها بها يؤكد أن إنكار المعجزة ملازم لإنكار النبوة<sup>(٧١)</sup>.

ونتيجة لما سبق فإنني أرى أن المعجزة ليست ضرورية للنبوة، فالأنبياء عليهم السلام يعرفون بسماهم وسمتهم وأخلاقهم وحسن سيرتهم، وقوة حجتهم وأصالة دعوتهم ونبل مقصدهم وصدق حديثهم وصحة شرعهم وزهدهم في الدنيا، كل ذلك كان يخلق في النفوس تصديقاً لهم وإذعائاً وعلى ذلك آمن الكثير من المؤمنين في كل عصر، وإنما إذا تصفحنا القرآن الكريم وجدنا أنبياء لم تُذكر لهم معجزات أي خوارق تحدوا بها لإثبات دعوتهم فأين هي معجزة رسول الله نوح التي تحدى بها قومه ولا يقال الطوفان معجزته وإنما كان عقاب قومه بعد طول كفرهم وعنادهم، وإنما كانت دعوته لهم تقوم على الإقناع العقلي وبيان قدرة الله وعظمته كما هو واضح في سورة نوح، ولذلك يرى (ابن رشد) "أن المعجز في العلم والعمل هو الدلالة القطعية على صفة النبوة وأما المعجز في غير ذلك من الأفعال فشاهد لها ومقو"<sup>(٧٢)</sup>، وكذلك يُنسب إلى المعتزلي ثمامة بن أشرس (ت255هـ) أنه قال: إن النبي لا يحتاج في الحجة على نبوته إلى أكثر من سلامة شرعه<sup>(٧٣)</sup>، أما أبو حامد الغزالي (ت505هـ) فيقول "إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار، يصل لك العلم الضروري بكونه صلى الله عليه وسلم على أعلى درجات النبوة، وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب، فمن هذا الطريق اطلب اليقين بالنبوة، لا من قلب العصا ثعباناً، وشق القمر، فإن ذلك إذا نظرت إليه وحده، ولم تنضم إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر، ربما ظننت أنه سحر وتخييل"<sup>(٧٤)</sup>.

وقد ذكر الإيجي في موافقه أن الجاحظ والغزالي ارتضيا المسلك الذي يُستدل فيه على نبوة رسولنا بأحواله قبل البعثة وبعدها وأخلاقه<sup>(٧٥)</sup>.

(٧٠) مصطفى صبرى: مرجع سابق، ج٤، ص٣٠

(٧١) المرجع نفسه، ص٩

(٧٢) ابن رشد: مرجع سابق، ص٢١٧

(٧٣) عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨م، ص١٤٧

(٧٤) أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، تقديم وتحقيق محمود بيجو، الطبعة الثانية، دار التقوى، دمشق، سوريا، ١٩٩٢م، ص٧٤-٧٥

(٧٥) عضد الدين الإيجي: مرجع سابق، ص٣56

وعلى ذلك فلم تكن المعجزات\_ وخاصة الحسية\_ هي السبب في إيمان من آمن لذلك يرى حسن حنفي (ت2021) أن الذين صدّقوا بالأنبياء عن طريق المعجزات أقل من الذين صدّقوا بهم عقلاً ومصلاً وتشريعاً<sup>(٧٦)</sup>، ولا حاجة لصدق النبي إلا اتفاق رسالته مع العقل وقد كان العقلاء معجبين بشخصية النبي وشريعته دونما الحاجة للمعجزات<sup>(٧٧)</sup>. ولذلك يرى (حسن حنفي) أن المعجزات هي أضعف موضوعات علم الكلام وأبعدها عن العقل وأنه يجب إدخالها في العقلية بالتدرج<sup>(٧٨)</sup>.

(٧٦) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ج٤، ٧٢

(٧٧) المرجع نفسه، ١٦٥

(٧٨) المرجع نفسه، ١٦٥

## المبحث الثاني:

### موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق الأنبياء السابقين

من المعلوم بشكل قطعي من خلال النص القرآني أن الرسل والأنبياء السابقين \_عليهم السلام\_ كانت لهم خوارق عديدة مثل نار إبراهيم وعصا موسى وقلق البحر له وإحياء الموتى لعيسى وحوث يونس وناقة صالح، وغيرها من الخوارق التي ذُكرت في القرآن الكريم، وهذه الخوارق كانت في غالب الأمر خوارق كونية أو حسية تخرق القوانين الكونية والطبيعية المعروفة بشكل واضح، وربما يوضح لنا السبب في ذلك قول الشيخ محمد أبو زهرة (ت1974هـ) في كتابه (صفوة التفاسير) وهو يفسر الآيات من سورة النمل التي تتحدث عن قصة سليمان عليه السلام وإحضاره عرش بلقيس"وفي الحق أن سلطان سليمان قد قام كله على خوارق للعادات، وكان الزمن زمن المادة والأسباب، والمسببات"<sup>(٧٩)</sup> وأوضح الأمر بيأنًا عند تفسيره لسورة مريم حين قال: "هذا عصر كثرت فيه خوارق العادات، لأنها كانت تصحیحًا للعقول وإزالة لفكرة خاطئة وقعت فيها الفلسفة التي كانت سائدة في هذا العصر، وهي نظام الأسباب العادية، وترتيب مسبباتها عليها، وأنه هو النظام المطرد المستقر الذي لا يمكن تغييره..، حتى زعموا أن الله خلقت عنه الأشياء، منفعة بالعلية، وأنه ليس باختيار من الله تعالى وإرادة، فكل ما في الوجود، جاء منفعلًا عن علة وهو علة لغيره، حتى يتوالى كله بنظام العلية، وكان لا بد لتصحيح هذه الفلسفة ولبيان بطلانها أن تكون أشياء بغير أسبابها التي استقرت أفهامهم على أنها أسباب طبيعية لها"<sup>(٨٠)</sup>

ويتمثل موقف المفكرين المحدثين تجاه هذه الخوارق في تقديم

١- التعليل والتبرير لهذه المعجزات، ٢- تأويل هذه المعجزات.

### أولاً : تعليل وتبرير خوارق الأنبياء السابقين

قدم مفكرو الإسلام تعليلات وتبريرات لحدوث هذه الخوارق الحسية والتي كانت تدهش الناظرين في العهود القديمة السابقة على الإسلام:

(٧٩) محمد أبو زهرة:زهرة التفاسير: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ج١٠، ص٤٥٩  
(٨٠) المرجع نفسه، ج٩، ص٦٠٧

## ١ - ضعف العقول وقلة العلم

حيث علّلوا ذلك بضعف عقول الأقوام السابقة وعدم استتارة عقولهم بالعلم فجاءت الخوارق الحسية على حسب استعدادهم كما ذكر (محمد عبده)<sup>(٨١)</sup>، حيث يقول: "جاءت الأديان والناس من فهم مصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناشئ الحديث العهد بالوجود لا يألف منه إلا ما وقع تحت حسه .. فلم يكن من حكمة تلك الأديان أن تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان أو يرقى إليه بسلم البرهان .. وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم وتتفعل به مشاعرهم"<sup>(٨٢)</sup>

## ٢ - غلظ الشعور

زعم محمد فريد وجدي (ت1954م) أن القدماء كانوا غلاظ الشعور، فلما كان العصر الذي أرسل فيه الرسول كانت القلوب قد رقت والعقول قد ارتقت والشعور تلطف فلم يرسل رسوله بالمعجزات الخارقة لنظام الطبيعة فجعل معجزاته الحكمة وفصل الخطاب وإحقاق الحق وازهاق الباطل والسيرورة الصالحة<sup>(٨٣)</sup>.

## ٣ - العجز عن النظر العقلي الخالص

بينما زعم نديم الجسر (ت1980م) أن البشر في العهود القديمة كانوا عاجزين عن النظر العقلي الخالص فاقتضت الحكمة عند دعوتهم للإيمان أن يُخاطبوا بدليل المعجزة ولكن لما ترقّت الإنسانية وتقدم العلم قضت حكمة الله أن يخاطبوا بالأدلة العقلية القاطعة وهذا ما سلكه الوحي في القرآن واعتمده أكثر من المعجزات<sup>(٨٤)</sup>.

## ٤ - غلبة التصور المادي في العصور القديمة

يرى محمد حسين هيكل (ت1956م) أن هذه المعجزات كانت مناسبة للعصور القديمة التي غلب فيها التصور المادي فكان الأنبياء يعتمدون على هذه المعجزات في دعوتهم ولكن تيقظ العقل

(٨١) محمد عبده: الأعمال الكاملة: الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص ٢٩٨

(٨٢) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص ١٤٧، ١٤٨

(٨٣) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد السادس، ص ٢٠١

(٨٤) الشيخ نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، توزيع دار العربية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٩-١٩٦٩، ص ١٨٠

بفضل الفلسفة اليونانية التي تشبعت بعلوم الفراعنة، وتنبه الناس إلى أن الخوارق لا تنهض دليلاً على شيء فجاؤ الإسلام الذي ركّز على الخطاب العقلي بجانب الروح والوجدان<sup>(٨٥)</sup>.

وفي رأيي إن ذلك التعليل وهذا التفسير غير صحيح فالزعم بأن القدماء كانوا ضعاف العقول وقليلي العلم أو غلاظ الشعور مما جعل معجزات أنبيائهم حسية لا عقلية هذا في رأيي كلام خاطئ، فالقدماء ربما كانوا أكمل منّا عقلاً وأكثر منّا علماً، وآثارهم الفكرية والعلمية والمادية دالة على ذلك، والقرآن شاهد على ذلك كما في قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (غافر: 82، 83) وكذلك قوله تعالى "وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (الأحقاف: 26)، فهل كان المصريون القدماء -الذين أظهر بينهم موسى عليه السلام معجزاته- ضعاف العقول قليلي العلم، وهم باعتراف الجميع بلغوا أعلى سلم الحضارة ولم يصل إلى مستواهم أحد حتى الآن<sup>(٨٦)</sup>.

واني لأعجب من تجاهل المتكلمين القدماء والمفكرين في العصر الحديث للتوراة والإنجيل والزبور، أفليست هذه معجزات عقلية وعلمية كانت لأنبياء سابقين في العصور القديمة؟ وهل خلا كل منها من الإعجاز العقلي والعلمي والتشريعي، لماذا قصر متكلمونا ومفكرونا المعجزات الحسية على الأنبياء السابقين ثم أغفلوا الحديث عن معجزاتهم العقلية والعلمية وهي واضحة في القرآن الكريم، فانه تعالى يقول: "وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ" (آل عمران، 4٣) وقال عن التوراة: "إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ" (المائدة ٤٤) وقال عن الإنجيل: "وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ" (المائدة ٤٦) فالتوراة والإنجيل مثل القرآن جاءا هداية للناس إذ هما من عند الله سبحانه، فكيف لا يحتويان معجزات عقلية وعلمية وتشريعية، ألسيت التوراة والإنجيل كلام الله! فهل يخلو كلام الله سبحانه من كل أنواع الإعجاز، كما

(٨٥) محمد حسين هيكال: حياة محمد: دار المعارف، الطبعة الرابعة عشرة، ١٩٧٧م، ص ٥٦٨، ٥٦٩  
(٨٦) ول ديورانت: قصة الحضارة، الشرق الأدنى، الجزء الثاني من المجلد الأول (٢)، ترجمة محمد بدران، دار الجليل، بيروت - لبنان، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص ١٨٥، ١٨٦

أنه لا يمكن الشك في أن الأنبياء والرسل قد كانت لهم معجزات عقلية ولا يمكن التصديق بأن الله جعل لهم نوعاً واحداً من المعجزات الحسية فقط، بل إن هناك من الأنبياء الذين لم يذكر معهم معجزة حسية وهذا يعني بلا شك أن معجزاتهم في الأغلب كانت عقلية وغير حسية مثل هود وشعيب وزكريا ويحيى وهود عليهم السلام.

إن فليست المعجزات الحسية فقط هي ما اتكأ عليه الأنبياء والرسل في دعوتهم، ولما استجاب الأنبياء مطالب أقوامهم لعمل مثل هذه المعجزات، وقد جاء في الإنجيل ما يوضح أن المسيح كان لا يتشجع للمعجزات "فَخَرَجَ الْفَرِيسِيُّونَ وَابْتَدَأُوا يُحَاوِرُونَهُ طَالِبِينَ مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ، لِكَيْ يُجَرِّبُوهُ فَتَنَّهُدَ بِرُوحِهِ وَقَالَ: لِمَاذَا يَطْلُبُ هَذَا الْجِيلُ آيَةً؟ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ لَنْ يُعْطَى هَذَا الْجِيلُ آيَةً" (إنجيل مرقس ٨/١٢، ١١).

وهذا كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم والذي لم يتفرد بذلك كما زعم المتكلمون والمفكرون في العصر الحديث، فكثيراً ما طالبت قريش النبي بالمعجزات الحسية \_ كما جاء في سورة الإسراء الآيات من ٩١ حتى ٩٣ \_ فكيف يصح قول من قال إن عصر النبي ترقى عقلياً وتخلص الناس فيه من الوهم والخيال وغلب عليهم العقل فلماذا إذن كثر طلبهم للمعجزات الحسية؟!، لم يكن انتهاء عصر المعجزات كما يزعم البعض سببه ترقى العقل البشري ولكن كان سببه ما ذكره الله في كتابه: " وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا" (الإسراء: ٥٩) فالمعجزات لم يؤمن بها كثير من الناس بل كذبوا وازدادوا عناداً وصارت لا تحدث إلا تخويفاً للناس.

إن كلام المفكرين عن تطور العقل البشري ومروره بأطوار كما أشاع (محمد عبده) وتبعه الكثيرون في ذلك هو متأثر نوعاً ما بمقولة أوجست كونت (ت1857م) في المراحل الثلاثة للبشرية: مرحلة الخرافة، ومرحلة الميتافيزيقا، والمرحلة الوضعية؛ حيث يقول محمد عبده: "فانتهى بذلك زمن المعجزات ، ودخل الإنسان بدين الإسلام في سن الرشد ، فلم تعد مدهشات الخوارق هي الجاذبة له إلى الإيمان وتقويم ما يعرض للفطرة من الميل عن الاعتدال في الفكر والأخلاق والأعمال، كما كان

في سن الطفولية (النوعية) بل أرشده - تعالى - بالوحي الأخير (القرآن) إلى استعمال عقله في تحصيل الإيمان بالله وبالوحي، ثم جعل له كل إرشادات الوحي مبينة معللة مدللة<sup>(٨٧)</sup>.

وفي سياق الرد على الغربيين المسيحيين الذين زعموا تناقض الإسلام والعلم، راح رجال الفكر الإسلامي يبرزون مدى توافق الإسلام مع العلم والعقل كما رسم منهجه الغربيون. وفي الوقت نفسه ردوا على الدين المسيحي تلك التهم وجعلوه مبنياً على الخوارق فقط، فنرى الإمام (محمد عبده) وفي سياق رده على (فرح أنطون:ت1922م) يقول: "أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماد له هو خوارق العادات، تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه؛ ثم إنه جعل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من إنجيل متى وغيره، وإذا تتبعت جميع ما قال الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات، ولا يخفى أن خارق العادة هو الأمر الذي يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه، فإذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين؛ لم يبقَ عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص. زاد الإنجيل على هذا أن الإيمان ولو كان مثل حبة خردل كافٍ في خرق نواميس الكون كما قال في الإصحاح السابع عشر من متى: (فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك، فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم)<sup>(٨٨)</sup>.

ألا يمكن لأحدهم أن يقول له إن التراث الإسلامي مليء بالخوارق التي فاقت كل ما سبق وإن خرق العادة عند جمهور المتكلمين هو دليل نبوة رسولنا الكريم.

(٨٧) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج١، ص ٢٦١

(٨٨) محمد عبده: الأعمال الكاملة، ج٣، ص ٢٧٧

### ثانياً : تأويل خوارق الأنبياء السابقين

في الحقيقة إن تأويل الخوارق المنسوبة للأنبياء ظهر قديماً بين المسلمين، وقد نسب الغزالي إلى الفلاسفة تأويل كل المعجزات التي وردت في القرآن الكريم وذلك في رأيه جاء نتيجة تمسكهم بفكرة السببية<sup>(٨٩)</sup>، وذكر أحمد أمين (ت1954م) أنه قد ظهر قديماً من يفسر القرآن بما يتفق مع العقل، فكل ما ورد في القرآن مما قد يخالف العقل أولوه، حتى ذهبوا في ذلك مذاهب غريبة، وفسّروا خروج ناقة صالح بالحجة الدامغة، وقالوا في معجزة إبراهيم إنه طلا جسمه ببعض الأدوية التي يبطل معها عمل النار، وقالوا في أصحاب الفيل الذين أهلكهم الله بحجارة من سجيل إنه أصابهم الوباء من الماء والهواء، فحصبوا، وجردوا وهلكوا، وقالوا في هدهد سليمان إنه رجل، وفي النمل أنهم قوم ضعاف خافوا من عسكر سليمان، والجن والشياطين الذين سُخروا لسليمان أنهم عتاة الناس وأشدّاءهم، وحدّاقهم، وعرفاءهم بالأمور الغامضة، وكذلك في جميع معجزات الأنبياء، ولم يقرؤا لمحمد صلى الله عليه وسلم إلا بمعجزة القرآن، وفي رأيه أن ما دعاهم لذلك التأويل هو مبالغات القصاص وبعض المفسرين الذين ولعوا بالغرائب، والخرافات كالثعلبي والخازن<sup>(٩٠)</sup>.

ثم ظهر هذا التوجه وشاع عند كثير من مفكري الإسلام في العصر الحديث من تأويل خوارق الأنبياء الكونية والحسية التي وردت في القرآن الكريم، وذلك كان نتيجة تأثرهم الواضح بالفكر الغربي الحديث الذي لا يقبل أي حديث عن خرق القوانين الطبيعية، وعليه اجتهد كثير من مفكري الإسلام في تقديم تأويلات لهذه الخوارق ومحاولة إظهار أن تلك الخوارق جاءت موافقة لقوانين الطبيعة وأنها لم تكن خرقاً للنظام الطبيعي الحتمي، وهذا هو الرأي الذي أشاعه (إسبينوزا:ت1677م) في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة) حيث يقول : "لا شك في أن الكتب المقدسة قد روت كثيراً من الوقائع التي يقال عنها معجزات ويمكن دون عناء تعيين علّتها بالمبادئ المعروفة للأشياء الطبيعية"<sup>(٩١)</sup>، ويرى أن غير ذلك هو فهم العامة الذين يرون أن المعجزات أعمال الله الخارقة للطبيعة، فعنده أن أفعال الله هي نفسها أعمال الطبيعة ولا فرق<sup>(٩٢)</sup>.

(٨٩) أبو حامد الغزالي: تهافت الفلاسفة، ص ٢٣٦

(٩٠) أحمد أمين: ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣م، ص ٢٩٨

(٩١) إسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م،

ص ٢١٦

(٩٢) المرجع نفسه، ص ٢١٥

كذلك كان جان جاك روسو (ت1778م) من المنكرين لكون المعجزات خارقة أو معطلة للنظام الطبيعي لأننا إن عرّفنا المعجزة بأنها خرق لقوانين الطبيعة، فلن نستطيع أبداً أن نعرف هل الشيء معجزة أم غير معجزة، لأننا لا نعرف كل قوانين الطبيعة، وكل يوم نشهد معجزة جديدة يحققها العلم، لا مخالفاً بذلك قوانين الطبيعة، بل بفضل معرفته بها معرفة أعظم، وإن كان يشوع أوقف الشمس، فأبي واضح للتقاويم يستطيع الوعد بمثل هذه النتيجة إذا حسب كسوف الشمس، وكما أن الأوربيين الذين يجرون عجائب كهذه بين الهمج يعدهم هؤلاء آلهة، فكذلك معجزات الماضي-حتى معجزات المسيح-ربما كانت نتائج طبيعية فسرتّها الجماهير خطأ بأنها تعطيلات إلهية للقانون الطبيعي، ولعل لعازر الذي أقامه المسيح من بين الأموات لم يكن في حقيقة الأمر ميتاً<sup>(٩٣)</sup>.

وربما كان (محمد عبده) وتلميذه (رشيد رضا) من أبرز المتشجعين لتأويل خوارق الأنبياء وتنزيلها وفق قوانين الطبيعة، حيث يُنسب للأساتذ الإمام كثير من التأويلات المشهورة لمعجزات الأنبياء كما سنرى الآن، والشيخ (رشيد رضا) يؤكد أن كل الخوارق تجري وفق السنن الكونية وإن لم يعرف سببها وعلتها، فيقول: مَنْ رأى بعينه خارقة للعادة أو نُقلت إليه بطريقة التواتر الصحيح وعرف أنها لم تكن خداعاً، وعلم أن من ظهرت على يديه ليس من أهل التلبيس والشعوذة، ولا من طلاب المال والجاه، وصعب عليه أن يحملها على وجه من وجوه التأويل فإن له أن يقيسها على ما عرف تأويله بأن يقول: إن كثيراً من خوارق العادات قد كان يظن أنها خارجة عن سنن الكون ثم ظهر أنها لم تكن شاذة عن تلك السنن الإلهية، وهذا الذي أراه الآن هو مثل تلك في ذلك الزمان، فيجوز أن يظهر له مثل ما ظهر لها من السبب، وتزول الغرابة ويبطل العجب، وهذا الرأي هو الذي عليه جميع العقلاء والحكماء في هذا العصر وإنهم ليتوقعون ظهور علل جميع الغرائب التي حدثت في العالم حتى معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام<sup>(٩٤)</sup>.

ثم يوضح في الوقت نفسه أن هذا الفهم للمعجزة لا خوف منه على الدين، فإذا فرضنا أن العلم أظهر لما يُؤثر من المعجزات عللاً روحانية وأسباباً خفية فليس ذلك قدح في النبوة، وإنما يكون مظهرًا لحقيقة النبوة؛ كأن يتبين أن الأرواح العالية تتصل بالعالم الأعلى وتستمد منه قوة العلم والهداية وقوة الأعمال الغريبة، فإن لم يتبين به صدقها فلا وجه لظهور عدمه؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يدعون أن الآيات التي يؤيدهم الله تعالى بها خارجة من سننه الظاهرة

(٩٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الأول من المجلد العاشر (٣٩)، ص ٣٢٥  
(٩٤) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص ٥٨، ٥٩.

والخفية، وما كانوا يدعون أن لهم سلطاناً في ملك الله تعالى وإنما كانوا يقولون: إنه واقع بإذنه، وقد كان اعتمادهم في دعوتهم إلى الله على البرهان وكانوا لا يُعطون الآيات إلا بعد إلحاح، ولم تكن هي العمدة في الدعوة<sup>(٩٥)</sup>.

ومن ثم يوضح أن ما يُتوقع كشفه بالعلم سيكون القاضي على بقايا دين لا يُحتج على صحته إلا بالعجائب وليس لأصحابه برهان على عقائدهم، ولا سند متواتر في صحة كتابهم، وإنما البرهان عندهم تلك الحكايات التي ينقلونها في عجائب من يقدرسونهم، وينقل الوثنيون عن كهنتهم أعظم منها<sup>(٩٦)</sup>.

وهكذا تبني كثير من مفكرينا في العصر الحديث تأويل خوارق الأنبياء بما يتوافق مع القوانين الطبيعية حتى لا يتعارض الدين وخاصة نصوصه المقدسة مع العلم الحديث الذي كان قائماً على الحتمية، وهم يعتذرون بأن العقل الحديث ينفر من الخوارق التي تتناقض مع قوانين الطبيعة؛ ولذلك يرون أنه من الصالح أن تؤول النصوص التي ورد فيها ذكر الخوارق أو المعجزات بما يتوافق مع العلم وقوانين الطبيعة.

ونذكر فيما يلي بعض هذه التأويلات كأمثلة واضحة لهذا التيار الفكري:

#### ١ - تأويل فلق البحر لموسى عليه السلام:

كان فلق البحر لموسى وقومه ليعبروا خلاله ثم اطباقه على فرعون وجيشه معونة ونصرة لموسى عليه السلام ومعه المؤمنين وقد تكرر ذكر هذه الخارقة في القرآن الكريم كثيراً، ومنها قوله تعالى: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} (البقرة 50)، وقوله تعالى: {فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْعَظِيمِ} (الشعراء ٦٣)

ورغم تأويل ابن عاشور لبعض معجزات موسى عليه السلام كما سنرى فإنه لم يتعرض لهذه الخارقة بالإنكار أو التأويل بل عدها معجزة فقال "ظَهَرَتِ الْمُعْجَزَةُ إِذْ فَلَاقَ اللَّهُ لَهُمُ الْبَحْرَ بِبَاهِرِ قُدْرَتِهِ

(٩٥) المرجع نفسه، ص ٥٩

(٩٦) المرجع نفسه، المجلد السادس، ص ٦٠

فَأَمَرَ مُوسَى أَنْ يَضْرِبَهُ بِعَصَاهُ فَاَنْفَلَقَ وَصَارَ فِيهِ طَرِيقٌ يَبَسُّ مَرَّتَ عَلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَكَانَ جُنْدُ فِرْعَوْنَ قَدْ لَحِقَ بِهِمْ وَرَامَ افْتِحَامَ الْبَحْرِ وَرَاءَهُمْ فَاَنْطَبَقَ الْبَحْرُ عَلَيْهِمْ فَعَرَفُوا. (٩٧).

ذكر (رشيد رضا) أن الأستاذ الإمام أورد أثناء تفسيره لقوله تعالى: "وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ" (البقرة 50)، أن هناك جماعة لا يحبون المعجزات أولوا انفلاق البحر لموسى بأنه المدّ فقال: "وزعم الذين لا يحبون المعجزات من المتهورين أن عبور بني إسرائيل البحر كان في إبان الجزر، فإن في البحر الأحمر رقارق إذا كان الجزر الذي عهد هناك شديدا يتيسر للإنسان أن يعبر ماشيا، ولما أتبعهم فرعون بجنوده وراهم قد عبروا البحر سار على أثرهم، وكان المد تفيض ثوابه (وهي المياه التي تجيء عقيب الجزر) فلما نجا بنو إسرائيل، كان المد قد طغى وعلا حتى أغرق المصريين" (٩٨). وقد نقل هذا التأويل أيضا أحمد مصطفى المراغي في تفسيره، ثم قال "ونعم الله بغير طريق المعجزات أتم وأكثر، فليس بلزم أن نجعل الامتتان في كونه معجزة لموسى عليه السلام ومثل هذا التأويل ليس بضائر إذا كان أربابه يثبتون صدور خوارق العادات على يد الأنبياء تأييدا من الله لهم" (٩٩) ولكن هذا التأويل لا يتماشى مع الآيات القرآنية التي فيها أن الله أمر موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه مما جعله ينفلق إلى ما يشبه الجبلين الكبيرين قال تعالى {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّوْدِ الْأَعْلَى} (الشعراء: ٦٣)

## ٢ - تأويل إحياء من مات مائة عام:

وهي التي وردت في قوله تعالى {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ} (البقرة 259) فقد زعم (محمد عبده) أن الرجل الصالح نام ولم يمت مثل أهل الكهف أي أن الله أيقظه من نومه بعد أن نام مائة عام (١٠٠).

وهذا تأويل غير مقبول فالله ذكر في شأن هذا العبد أنه مات مائة عام ثم إن الله بعثه قال تعالى: {فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ} (البقرة: ٢٥٩) بينما لم يذكر عن أهل الكهف أنهم ماتوا ليصح القياس، قال ابن عاشور: "وقوله ثُمَّ بَعَثَهُ أي أحياه وهي حياة خاصة رُدَّتْ بها رُوحُهُ إلى جسده لِأَنَّ

(٩٧) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤، ج ١، ص ٤٩٦

(٩٨) تفسير المنار، ج ١، ص ٢٦٢

(٩٩) أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة:

الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م، ج ١، ص ١١٦ وما بعدها

(١٠٠) تفسير المنار، ج ٣، ص ٤٢

جَسَدَهُ لَمْ يَبَلِّ كَسَائِرَ الْأَنْبِيَاءِ، وَهَذَا بَعَثَ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ وَهُوَ غَيْرُ بَعَثِ الْحَشْرِ. (١٠١)"

٣ - تأويل إحياء الطيور لإبراهيم عليه السلام:

وهي التي وردت في قوله تعالى "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (البقرة ٢٦٠)

حيث يختار (محمد عبده) تفسير (أبي مسلم الأصفهاني: ت322—) (١٠٢) الذي يخالف الجمهور فيرى أن إبراهيم لم يذبح الطيور وإنما فرقها حية على الجبال ثم دعاها فجاءت إليه (١٠٣).

ولكن هل يصح هذا التأويل وهل يفي هذا مع المقصود الذي طلبه إبراهيم عليه السلام من ربه وهو أن يرى إحياء الموتى ليطمئن قلبه؟

ونجد عند محمد فريدي وجدي ما يجعل هذه الخارقة أمراً ممكناً يمكن تكراره فيقول: "إن إشارة الكتاب إلى معجزة إبراهيم هذه تشير إلى أن في الإنسان قوى إلهية في إمكانها بتوفيق الله أن يبعث الحياة في الجمادات، وقد دلت الأبحاث في المغناطيس الحيواني في هذا العصر على ما يجعل هذه المعجزة معقولة علمياً" (١٠٤). وهذا الكلام من فريد وجدي من محاولات جعل المعجزات والخوارق الخاصة بالأنبياء من الأمور التي يمكن تكرارها وتثبت بالتجارب العلمية وذلك سعياً لجعلها مقبولة بين جماهير الناس وغير مستغربة.

#### ٤ - تأويل إحياء قتيل بني إسرائيل

ونجد ذلك التأويل واضحاً عند (محمد عبده) حيث أول معجزة إحياء قتيل بني إسرائيل الذي ورد ذكره في قوله تعالى "وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ \* فَعَلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" (البقرة 72-73) فذكر أن معنى إحياء الموتى في الآية هو حفظ الدماء التي كانت عرضة لأن تُسْفَك، بسبب الخلاف في قتل تلك النفس،

(١٠١) التحرير والتنوير ج٣، ص٣٦

(١٠٢) محمد بن بحر الأصفهاني معتزلي (٢٥٤ - ٣٢٢ هـ)، ولي أصفهان وبلاد فارس للمقتدر العباسي، من كتبه (جامع التأويل) في التفسير وهو مفقود وقد أورد الرازي كثيراً من آرائه في تفسيره (مفاتيح الغيب)، انظر خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م، ج٦، ص٥٠

(١٠٣) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج٣، ص٤٧

(١٠٤) محمد فريد وجدي: المصحف المفسر، مطبعة العلوم بشارع الخليج، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٨م، ص٥٨

أي يُحييها بمثل هذه الأحكام، وهذا الإحياء على حد قوله - تعالى - : (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (المائدة: 32) وقوله : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) (البقرة: 179) فالإحياء هنا معناه الاستبقاء كما هو المعنى في الآيتين، ويرى أنه كان من عادة بني إسرائيل أن من وُجد مقتولا قُرب قرية ولم يُعرف قاتله أن يذبحوا بقرة فمن غسل يده في دمها وفعل ما رُسم له في الشريعة كان بريئاً ومن رفض كان مذنباً<sup>(١٠٥)</sup> ، والإمام بذلك يستبعد حدوث هذه المعجزة التي تبدو واضحة من خلال الآيات والتي ذكرها المفسرون القدماء، وقد رفض الشيخ محمود شلتوت (ت ١٩٦٣) هذا التأويل البعيد والمتكلف ورأى أن الآيات لا تساعد عليه ولا تساعد عليه اللغة أو المعهود من كلام العرب وعليه فإن هذه معجزة حسية وقعت بالفعل وشاهدتها بنو إسرائيل ولكن قست قلوبهم<sup>(١٠٦)</sup>

#### ٥ - تأويل رفع الجبل فوق بني إسرائيل:

والتي وردت في قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (البقرة ٦٣).

رغم أن الإمام (محمد عبده) لم يتعرض لتأويل هذه المعجزة وأقرّ بكونها آية كونية بمعنى أن الجبل انثُرِعَ من الأرض وصار مُعلّقاً فوقهم في الهواء إلا إن تلميذه (رشيد رضا) يرى أن الآيات الواردة لا تدل على ذلك صراحة وعلى ذلك قام بتقديم تأويل لهذه المعجزة؛ فالرفع الوارد في الآية من قبيل قوله تعالى: (فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) (الغاشية : 13) وقوله: (وَفُرُشٌ مَرْفُوعَةٌ) (الواقعة : 34) فكلٌّ من السُّرُرِ والفُرُشِ تكون مرفوعة وهي على الأرض، وعلى ذلك فالجبل حسب رأيه لم يعلق في الهواء وإنما حدث زلزال فظن بنو إسرائيل أن الجبل سيقع عليهم، وعلى ذلك يرى أن من ينكر ارتفاع الجبل في الهواء لا يكون مكذباً للقرآن<sup>(١٠٧)</sup>.

ويقدم محمد الطاهر بن عاشور (ت 1973م) تأويلاً قوياً لهذه المعجزة مستنداً إلى نصوص توراتية؛ فيرى أنه حينما تجلّى الله لموسى عليه السلام في الطور تجلياً خاصاً للجبل فتزعزع الجبل وتزلزل وأحاط به دخان وضباب ورياح وبرق كما ورد في صفة ذلك في الفصل التاسع عشر من سفر الخروج وفي الفصل الخامس من سفر التثنية فلعل الجبل من شدة الزلازل وما ظهر حوله من الأسحابة والدخان والرعود صار يلوح كأنه سحابة، . وليس في كتب بني إسرائيل ولا في الأحاديث

(١٠٥) المرجع نفسه، ج ١، ص ٢٩١

(١٠٦) محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشرة الأولى، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الثانية عشرة ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤، ص ٣٩ وما بعدها

(١٠٧) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج ١، ص ٢٨٤

الصحيحة ما يدل على أن الله قلع الطور من موضعه ورفعهم فوقهم وإنما ورد ذلك في أخبار ضعاف فلذلك لم نعتمده في التفسير<sup>(١٠٨)</sup>.

## ٦ - تأويل ولادة عيسى عليه السلام بدون أب:

وقد وردت هذه المعجزة في القرآن الكريم في عدة مواضع كما في قوله تعالى: "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسَّسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (آل عمران ٤٧).

يحاول (محمد عبده) عرض وجهين لتأويل هذه المعجزة الكبيرة بما يتقارب مع قوانين الطبيعة المعروفة، (الوجه الأول): إن مريم لما بُشِّرَتْ بأن الله - تعالى - سيهب لها ولداً بمحض قدرته، انفعَل مزاجها بهذا الاعتقاد انفعالاً فعَل في الرحم فعل التلقيح، كما يفعل الاعتقاد القوي في مزاج السليم فيمرض أو يموت، وفي مزاج المريض فيبرأ، وكان نفخ الروح متمماً لهذا التأثير.

(الوجه الثاني): بينه على مقدمة يؤكد فيها على أن المخلوقات قسماً: أجسام كثيفة وأرواح لطيفة، وأن اللطيف هو الذي يحدث في الكثيف الحي ما نراه فيه من النمو والحركة والتوالد، وهذه الأرواح اللطيفة مثل الهواء والكهرباء وغيرها من قوى الطبيعة والتي عُبرَ عنها في الشرع بالملائكة، وعلى هذا فإن الله قد أرسل إلى مريم روحاً من هذه الأرواح والمقصود هنا قوة من قوى الطبيعة وليس شيئاً خارجاً عن الطبيعة حيث إن قوى الطبيعة هي نفسها الملائكة عند الإمام محمد عبده، وهذه الروح أو القوة الطبيعية أو الملك بلسان الشرع تمثلت بشراً نفخ في مريم فأحدثت النفخة التلقيح في رحمها فحملت بالمسيح، ولكن الإمام لا يجزم بأن هذه النفخة حملت مادة أم لا<sup>(١٠٩)</sup> وهنا كأنه يريد أن يقول إن ولادة المسيح جاءت بشكل طبيعي وليس فيه خرق للطبيعة، ولكن هذا التأويل لولادة المسيح بعيد جداً عن أن يلقي قبولاً أو يورث قناعة، فهو غاية في التعسف والتكلف الذي لا يمكن أن يساعد عليه النص أو تسعفة اللغة أو حتى يقبله العقل، ولست أدري ما ساق محمد عبده إلى ذلك التكلف في هذا التأويل البعيد إلا أن يكون أراد أن يثبت للمتسكين بالعلوم الحديثة عدم مجافاة القرآن للقوانين الطبيعية.

(١٠٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج ١، ص ٥٤١  
(١٠٩) محمد رشيد رضا: تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٤٥، ٢٥٥

## هل هذا التأويل لخوارق الأنبياء مقبول؟

هنالك ذلك التيار القوي الذي يرفض هذه التأويلات ويتمسك بما ورد من معجزات الأنبياء في القرآن الكريم ويرى ضرورة الإيمان بها لكونها دلائل النبوات، ويرى في هذا التأويل تعسفاً، وإفراطاً في متابعة الفكر الغربي، كما أن بعض هذه التأويلات لا تكون مقبولة ولا تأتي وفق قانون التأويل المتعارف عليه.

فمثلاً يرفض نديم الجسر (ت1980م) تأويل المعجزات لتتوافق مع العلم الحديث، وعلّة هذا الرفض أنه لا يمكن لبعض المعجزات أن يكون لها التأويل المقبول؛ فمثلاً لا يمكن تأويل ولادة المسيح ولا كلامه في المهد ولا قلب العصا حية لموسى عليه السلام، ولذلك يرى أن تأويل المعجزات ليوافق النواميس الطبيعية محاولة فاشلة ومفسدة لمعنى المعجزة، فالأصل هو الإيمان بأن الله خالق النواميس وهو قادر على خرقها وهذا هو سر المعجزة، وخرق المعجزة ليس من المستحيل عقلاً<sup>(١١٠)</sup>.

أما الشيخ مصطفى صبري (ت1954م) فيرى أن هؤلاء العصريين من علماء الدين والدنيا المتعمدين لإنكار المعجزات قد ذهبوا في تفسير القرآن وتقويم الأحاديث مذهباً يكاد يكون ملعباً، وذلك نتيجة خضوعهم التام للعلم المادي الحديث<sup>(١١١)</sup>.

لقد استنكر الشيخ مصطفى هذا التأويل للمعجزات وهاجم أصحابه بشدة، وعدّهم منكرين للمعجزات، ولذلك عدّ الإمامين محمد عبده وتلميذه رشيد رضا من المنكرين للمعجزات وغير المعترفين بوجود معجزات كونية للرسول<sup>(١١٢)</sup>.

ويقدم الشيخ محمد الخضر حسين (ت١٩٥٨م) ردّاً على استدلالات هؤلاء المنكرين والمؤولين للمعجزات، فقد أورد استدلالين لهم وقدم الرد عليهما:

إحداهما: قولهم إن الله تعالى وضع هذا الكون على سنن لا تتبدل، وربط أسبابه بمسبباته ربطاً لا يتغير، وربما استشهدوا على هذا بقوله تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} (الأحزاب: ٦٢).

ويرد على هذا بقوله: إن الذي خلق الأسباب والمسببات، وعقد بينهما رابطة السببية والمسببية، هو الفعال لما يريد؛ فله أن ينزع من بعض الأسباب وجه سببيتها؛ وله أن يخلق سبباً آخر يخفى عن

(١١٠) نديم الجسر: مرجع سابق، ص ٢٢١

(١١١) مصطفى صبري: مرجع سابق، ج٤، ص ٢٢ و٢٣

(١١٢) المرجع نفسه، ج٤، ص ١٧٢

أعين الناس، ويظهر له مثل أثر السبب المعروف في العادة؛ كأن يخلق في العصا ما يكون سبباً لانقلابها ثعباناً.

كما أن تخلف المسببات عن أسبابها الظاهرة، أو وجود المسببات مع فقدان أسبابها، هو في مرتبة الإمكان لا محالة، وإذا كان ممكناً في نفسه، وورد الخبر الصادق بوقوعه، أصبح الاعتقاد به ضربة لازب، ولم يكن لمنكره من الأدلة النظرية ولي ولا نصير.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، فحق لا غبار عليه، لكن سنن الله منها ما عرفه الناس، ومنها ما لم يعرفوه، وإذا وقعت واقعة غريبة عند تحدي النبي لقومه، فهي جارية على سنة، ولكنها سنة خفية لا يعلمها البشر، ولا يستطيعون أن يأتيوا بمثليها، ومن هنا كانت هذه الواقعة الغريبة علامة على أن هذا الداعي مبلغ عن الله.

والاستدلال الثاني: قولهم إن العلوم في هذا العصر كشفت عن أسرار أمور كانت تُظن من خوارق العادات، فلو بلغ العلم بصاحبه أن يأتي بأشياء هي من أمثال ما كان يعد خارقاً للعادة، لم يبق ذلك الذي صدر على وجه التحدي معجزة.

ويردّ الشيخ الخضر حسين بأن من معجزات الرسل - عليهم السلام - ما لم يصل إليه العلم، ولن يصل؛ كإحياء الموتى وإبراء الأكمه، ونبع الماء الحقيقي من بين أصابع الإنسان، وإذا وجد من المعجزات التي جرت على أيدي الرسل ما يمكن الوصول إلى مثله من طريق الفن؛ كما يدعى من الإخبار عن بعض الأشياء الغائبة، وكما ظهر من قطع المسافة البعيدة في وقت قريب، فإن أمثال هذه الأشياء نجدها قد صدرت عن الرسول مضمومة إلى معجزة أخرى لا يصل إليها العلم، ثم إن الفرق بين ما وقع عند التحدي، وما وقع من طريق الفن: أن الأول وقع بإذن الله من غير أن يكون للرسول فيه عمل، أما الثاني، فإنما يقع بعد اتخاذ الوسائل الفنية، هذا هو الفرق بين ما كان معجزة،

وما كان أثر حركة فنية، فما يذكره الله تعالى في كتابه الحكيم من هذا النوع من المعجزات إنما هو أمر واقع بإذنه من غير أن يكون للرسول فيه أثر<sup>(١١٣)</sup>.

كذلك يرفض الشيخ محمود شلتوت (ت1963م) هذا النوع من التأويل للمعجزات الذي قام به (محمد عبده) وغيره، والذي لا يلتزم قانون التأويل، ثم يبين السبب وراء هذا التأويل للمعجزات، فهو يرى أن هذا التأويل جاء ردًا على المهاجمين للقرآن، ومن ذلك تأويل إحياء الموتى المنسوب لعيسى بالإحياء الروحي، والنمل في قصة سليمان على أنه قبيلة ضعيفة وغيرها<sup>(١١٤)</sup>.

ويرى الشيخ الشعراوي (ت1998م) أن المعجزات التي وردت في القرآن ونسبت للرسول حقائق لا شك فيها لأن قدرة الله لا تقارن بها قدرة البشر<sup>(١١٥)</sup>.

(١١٣) محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة، المجلد الرابع (محمد رسول الله وخاتم النبيين)، اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، ص ١٩٦-١٩٧

(١١٤) محمود شلتوت: مرجع سابق، ص ٤٠

(١١٥) محمد متولي الشعراوي: مرجع سابق، ص ١٢٨

## المبحث الثالث:

## موقف الفكر الإسلامي الحديث من خوارق النبي الخاتم

(محمد صلى الله عليه وسلم)

نعرض الآن لموقف المفكرين المسلمين من الخوارق التي حدثت للنبي الخاتم، فنعرض لمعجزته الكبرى القرآن الكريم ونبيّن موقف المفكرين منها، ثم نحاول أن نعرف حقيقة موقفهم من الخوارق الكونية والحسية المنسوبة للنبي.

## أولاً: معجزة القرآن الكريم

رأى علماء الإسلام أن القرآن الكريم معجزة لا تدانيها معجزة وهو بذلك أفضل من كل المعجزات وخاصة المعجزات الحسية، فيرى (الباقلائي) أن الإعجاز في نظم القرآن أبلغ في بابه وأعلى من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت وقلب العصا ثعباناً وأمثالها وذلك لاعتقاد كثير من الناس بأن تلك الآيات قد تمت بحيل ومخاريق، أما بلاغة القرآن فلا يمكن أن تعرض في إعجازها شبهة<sup>(١١٦)</sup>.

وهنا يتفق المفكرون المحدثون في القول بأن القرآن هو المعجزة الكبرى للرسول والتي لم يستدل إلا بها، وكذلك قولهم بأنها معجزة عقلية تختلف عن بقية معجزات الأنبياء، فهي بذلك معجزة توافق العقل ولا تخالف قوانين الطبيعة كبقية المعجزات بل هي تستنهض العقل والفهم وتتماشي مع العلم، وهذا واضح في فكر (محمد عبده) من أن القرآن الكريم معجزة عقلية توافق الفهم بخلاف معجزات السابقين والتي جاءت مناسبة لأحوالهم؛ فمعجزة القرآن عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها، فهي معجزة أعجزت كل طوق أن يأتي بمثها، ولكنها دعت كل قدرة أن تتناول ما تشاء منها، أما معجزة موت حي بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما ينقطع عنه العقل، ويجمد لديه الفهم، وإنما

(١١٦) الباقلائي: مرجع سابق، ص ٢٦

يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم، ولم تضيء عقولهم بنور العلم، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات للأمم على حسب الاستعدادات<sup>(١١٧)</sup>.

ويتبنى (محمد رشيد رضا) هذه الفكرة ويجادل عنها حتى إنه ينقل عن أحد فلاسفة فرنسا قوله " إن محمداً - صلى الله عليه وسلم - لم يكن محتاجاً إلى عمل العجائب لمثل ما كان يحتاجها الأنبياء من جذب النفوس إلى الإيمان به فإنه كان يقرأ القرآن باسم الله في حال وجد وولاه روحاني ينتقل تأثيره من نفسه إلى نفوس من يسمعه فيكون ذلك جاذباً لهم إلى الإيمان بجاذبي الإذعان والوجدان إيماناً يملك على النفس أمرها حتى لا يمكنها الانسلاخ منه، وإن قاست في سبيله من الأهوال ما يشيب النواصي، ويدك الصياصي، فأين هذا الإيمان من إيمان قوم رأوا أعجوبة لا يدركون سرها فخضعوا لصاحبها وسلموا بما يقول، وإن لم تترك فائدته العقول، حتى إذا ما غاب عنهم برهة من الزمان عبدوا ما يصوغون من الأوثان"<sup>(١١٨)</sup>.

فالمعجزات الحسية في رأي الإمام (محمد عبده) وتلميذه (رشيد رضا) تجمد وتعيق الفهم وتضر العقل الإنساني، وهذا في رأيي غير مقبول أن يُقال على معجزات أيد الله بها أصفياه من الأنبياء والرسل، فإذا أردنا أن نبين تفرد القرآن الكريم في إعجازه فلا يصح أن نستخف بمعجزات الله الأخرى فكلها آيات لله داعية للهداية والرشاد، كما أنها مذكورة في القرآن نفسه الذي نقول إنه لا يناقض العقل ويحث على التفكير والفهم والعلم، فكيف نقول إن معجزات الأنبياء الكونية والحسية تناقض العقل وتعيق الفهم رغم أنها وردت في القرآن كآيات للأنبياء من قبل الله سبحانه!

الفكرة المسيطرة إذن عند مفكري المسلمين في العصر الحديث هي علو القرآن الكريم وسموه على بقية المعجزات، فالقرآن هو أعظم معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وإعجازه ليس مقصوراً على أسلوبه البديع ..، وعلى إخباره بالمغيبات المستقبلية ..، بل فيما اشتمل عليه من العلوم والمعارف في تهذيب البشر وبيان مصالحهم في أمور معاشهم ومعادهم أعظم خارق لحجب العوائد، لا سيما بالنسبة لمن ظهر على يديه<sup>(١١٩)</sup>.

ويزيد الإمام (محمد متولي الشعراوي) في بيان تفرد المعجزة القرآنية عن بقية المعجزات فيبين أن القرآن له عطاء متجدد وهذا العطاء المتجدد هو استمرار لمعنى إعجاز القرآن، فالقرآن يعطي لكل جيل بقدر طاقته ويعطي للجيل القادم شيئاً جديداً لم يعطه للجيل الذي سبقه وفي هذا العصر وهو

(١١٧) محمد عبده: الأعمال الكاملة: الجزء الثالث، ص ٢٩٨

(١١٨) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص ١٤١، ١٥

(١١٩) المرجع نفسه، المجلد الثاني، ص ٤١٨

عصر العلم نجد أن القرآن ألمح إلى حقائق علمية لم تكتشف إلا في هذا العصر مما يدل على إعجاز القرآن وكونه من الله خالق الكون، ولكنه ينبه في الوقت ذاته على ضرورة عدم ربط القرآن بالنظريات العلمية الجديدة والتي لم تثبت صحتها بشكل يقيني<sup>(١٢٠)</sup>.

وإذا تركنا مدرسة (محمد عبده) وذهبنا إلى بعض من يوجه الانتقادات اللاذعة لهذه المدرسة وخاصة في موقفها من المعجزات نلاحظ أنهم يرجعون الاعتبار للمعجزات الحسية ويدافعون عن كل المعجزات، ولا يجتهدون كثيرًا في إظهار تميّز القرآن وبيان أوجه الإعجاز المتعددة فيه، فنرى مثلاً الشيخ (مصطفى صبري) يوضح أن معجزة القرآن مثل كل المعجزات في أصل الإعجاز ولكن الفضل فيها راجع لاتّحاد المعجزة مع الوحي في القرآن حين كانت سائر المعجزات منفصلة عن الوحي الذي هو المقصود الأصلي من النبوة وكانت المعجزات نفسها أمورًا مقصودة لغيرها وهو تأييد الوحي بإثبات كونه من قبل الله<sup>(١٢١)</sup>.

ويأتي (حسن حنفي) برأي جديد \_نوعًا\_ وإن كان امتدادًا لمدرسة (محمد عبده) فيرى أن القرآن ليس من جنس المعجزات، ثم يسمّي القرآن إعجازًا وليس معجزة لأنه يتوافق مع العقل والطبيعة بينما المعجزة تخالفهما، وعنده أن معجزة القرآن تتمثل في جانبه التشريعي<sup>(١٢٢)</sup>.

### ثانيًا: الخوارق المادية (الكونية والحسية) للنبي الخاتم

من المعروف أنه قد ورد في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ما قد عدّه المسلمون خوارق ومعجزات للنبي كونية وحسية للرسول الكريم؛ يقول أبو حامد الغزالي في إثبات نبوة نبينا \_بعد استدلاله بالقرآن الكريم\_ " تثبت نبوته بجملة من الأفعال الخارقة للعادات التي ظهرت عليه، كانشقاق القمر، ونطق العجماء، وتفجر الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في كفه، وتكثير الطعام القليل، وغيره من خوارق العادات، وكل ذلك دليل على صدقه"<sup>(١٢٣)</sup>.

ويقول "الشيخ الشعراوي" "قد تعرّض رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأشياء ومواقف رآها الصحابة، ونشأت له خوارق من الحق سبحانه وتعالى تؤيد صدقه، وشاهد تلك الخوارق بعض

(١٢٠) محمد متولي الشعراوي: مرجع سابق، ص ٨٤، وما بعدها، ص ١٢٠

(١٢١) مصطفى صبري: مرجع سابق، ج ٤، ص ١٣٣

(١٢٢) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، ج ٤، ٢٠٢، ١٨٢

(١٢٣) الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، ص ١١٤

الصحابة ولا نقول عنها معجزات؛ لأن معجزة الإسلام إلى قيام الساعة هي القرآن، ولكن رسول الله لم تخل حياته من بعض المعجزات الكونية مثل التي حدثت لغيره من الرسل، وأرادها الحق لا للمسلمين عموماً ولكن شاهدها بعضهم كما شاهدها بعض الكفار... والذي عاش بعد رسول الله له أن يصدق تلك المعجزات أو لا يصدقها، ولكن على المؤمن الذي علم مقام ومكانة الرسول عند ربه، أن يصدق تلك الخوارق متى ثبت ذلك بطريق يقيني قطعي، ولذلك لا ضرورة لإقامة الجدل مع هؤلاء الذين ينكرون المعجزات الكونية ونقول لهم: ليس أحدكم مسئولاً بهذه المعجزات، أنت مسئول بمعجزة القرآن فقط، والخوارق التي وقعت إما أن تكون بغرض تثبيت رسول الله مصداقاً لقوله الحق { لِنُبَيِّنَ بِهِ فُؤَادَكَ } (الفرقان 32) إما أن تكون لتثبيت أصحاب رسول الله؛ فقد كانت الأهوال تمر عليهم وتزلزلهم.. وكان لا بد أن ترسل السماء لهم آيات لتثبت أقدامهم في الإيمان. والخلاصة أن كل الخوارق الكونية التي حدثت لرسول الله ليس المقصود بها عامة المسلمين، ولكن المقصود بها من وقعت له أو وقعت أمامه، ونفض بذلك أي نزاع حول تلك الخوارق؛ لأن المعجزة الملزمة للجميع هي كتاب الله سبحانه وتعالى". (١٢٤)

فما هو موقف الفكر الإسلامي الحديث من هذه الخوارق والمعجزات التي هي خارقة لقوانين الطبيعة؟ انقسم المفكرون إلى ثلاثة اتجاهات، الاتجاه الأول: ينكر هذه المعجزات الكونية والحسية، الاتجاه الثاني: يؤول أغلب هذه المعجزات، الاتجاه الثالث: يعتقد بحدوث هذه المعجزات الحسية ما دام وردت بها النصوص، وفيما يلي نتعرف رأي كل فريق وأدلته.

### الاتجاه الأول: إنكار الخوارق المادية للنبي (الكونية والحسية)

في الحقيقة يوجد لدينا في تراث المتكلمين من نُسب إليه إنكار الخوارق الكونية والحسية للنبي الخاتم، وينسب إليه أيضاً التهوين من إعجاز القرآن وهذا ما ينسب لأحد رجالات المعتزلة وهو (النظام:ت 221هـ) حيث نقل عنه الأشعري أنه قال " الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم" (١٢٥)، وقد زاد عبد القاهر البغدادي أن (النظام) أنكر ما روى في معجزات نبينا من انشقاق القمر وتسبيح الحصى في يده ونبوع الماء من بين أصابعه (١٢٦). ولكن في رأي

(١٢٤) محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي/الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ج٥ ص ٩٨٨ وما بعدها  
(١٢٥) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م، ج١، ص ٢٧١  
(١٢٦) عبد القاهر البغدادي: مرجع سابق، ص ١٢٠، ١١٩

(عبدالرحمن بدوي) أن المعتزلة لم ينكروا المعجزات بشكل مطلق ولكنهم رفضوا استغلالها في إثبات النبوة، وأمّا (النظام) فقد رفض المعجزات الخيرية لأنها في رأيه لا تتفق مع الإسلام<sup>(١٢٧)</sup>.

وقد أكد القاضي عبد الجبار \_ وهو من كبار المعتزلة \_ أن النبي قد ثبتت له معجزات كثيرة مثل إنطاق الله الذئب له، ومجيء الشجرة له، وحنين الجذع، وتسبيح الحصى بين يديه إلى غير ذلك مما لا يحصى<sup>(١٢٨)</sup>.

وقد ظهر اتجاه في العصر الحديث ينكر هذه الخوارق الحسية، وكان المفكر والأديب محمد حسين هيكل (ت1956م) من أشهر من تمسك بهذا الاتجاه وظهر ذلك في كتابه الشهير (حياة محمد) والذي أثار عليه ضجة كبيرة، حيث يقول: " ولم يرد في كتاب الله ذكر لمعجزة أراد الله بها أن يؤمن الناس كافة، على اختلاف عصورهم، برسالة محمد إلا القرآن الكريم، هذا مع أنه ذكر المعجزات التي جرت بإذن الله على أيدي من سبق محمدًا من الرسل،.. وما ورد في الكتاب عن النبي العربي لا يخالف سنة الكون في شيء"<sup>(١٢٩)</sup>.

إذن فهو ينكر هذه المعجزات المادية التي تُنسب لنبي الإسلام؛ وحجته في ذلك أن الله أراد أن تكون معجزة النبي معجزة إنسانية عقلية، وهذه المعجزة هي القرآن وهي أكبر المعجزات التي أذن الله بها، وقد أراد الله أن تثبت رسالة نبيه بالحجة البينة والدليل الدامغ، وأراد لدينه أن ينتصر بفضل منه في حياة رسوله، ليرى الناس في انتصاره قوة سلطانه ولو أراد الله أن تكون المعجزة المادية وسيلة إلى اقتناع من نزل الإسلام على رسوله بينهم، لكانت ولذكرها في كتابه<sup>(١٣٠)</sup>.

ويستدل بقوله تعالى: { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا \* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالِلِهِ وَالْمَلَانِكَةِ قَبِيلًا \* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } (الإسراء: 90-93)، حيث يذكر أن سبب

(١٢٧) عبد الرحمن بدوي: مرجع سابق، ص ١٤١

(١٢٨) القاضي عبد الجبار: مرجع سابق ١٩٨٨م، ٢٦٨

(١٢٩) محمد حسين هيكل: مرجع سابق ص ٧١

(١٣٠) المرجع نفسه، ص ٧٢

نزول هذه الآيات أنّ أهل مكة كانوا يطلبون إلى النبي أن يجري ربه على يديه المعجزات إذا أرادهم أن يصدقوه، فنزل القرآن يذكر ما طلبوا ويدفعه بحجج مختلفة<sup>(١٣١)</sup>.

ثم يوضح هيكل انعدام الفائدة من هذه المعجزات المادية حيث يذكر أن المسلمين الأوائل لم يكن السبب في إيمانهم هو المعجزات المادية؛ فلم يذكر التاريخ أن المعجزات حملت أحدًا منهم على أن يؤمن؛ بل كانت حجة الله البالغة عن طريق الوحي على لسان نبيه، وكانت حياة النبي، في سموها البالغ غاية السمو، هي التي دعت إلى إيمان من آمن منهم، وإن كتب السيرة جميعًا لتذكر أن طائفة من الذين آمنوا برسالة النبي قبل الإسراء قد ارتدت بعد أن ذكر النبي أنه أسري به، ولم يؤمن (سراقة)، رغم ما روت كتب السيرة من معجزة الله في سراقة وفي جواده، ولم يذكر التاريخ أن مشركًا آمن برسالة النبي لمعجزة من المعجزات، كما آمن سحرة فرعون لما لقت عصا موسى ما صنعوا<sup>(١٣٢)</sup>.

ويرفض (هيكل) الاعتماد على كتب السيرة التي نَسَبَتْ للرسول معجزات كثيرة، وحجته في ذلك عدم الدقة في هذه الكتب وكثرة الخلاف بينها فيما نُسب إلى النبي، فقد لاحظ الذين درسوا هذه الكتب أن ما روته من أنباء الخوارق والمعجزات ومن كثير غيرها من الأنباء، كان يزيد وينقص دون مسوّغ إلا اختلاف الأزمان التي وُضعت هذه الكتب فيها، فقديمتها أقل رواية للخوارق من متأخرها، وما ورد من الخوارق في الكتب القديمة أقل بُعدًا عن مقتضى العقل مما ورد في كتب المتأخرين، وهذه سيرة ابن هشام أقدم السير المعروفة اليوم تغافل كثيرًا مما ذكره أبو الفداء في تاريخه، ومما ذكره القاضي عياض في كتاب الشفاء، ومما ذُكر في كتب المتأخرين جميعًا<sup>(١٣٣)</sup>.

ويعلل (هيكل) كثرة الروايات عن المعجزات في العصور المتأخرة بأنها كانت رغبة في زيادة الإيمان فقد حسبوا أن ذكر هذه المعجزات ينفع ولا يضرّ، ولكن يوضح أن ما حدث هو عكس المقصود وخاصة في عصرنا؛ حيث اتخذ خصوم الإسلام ما ذكروه منها حجة على الإسلام، كما أن هذه الروايات أصبحت تزيج قلوبًا<sup>(١٣٤)</sup>.

(١٣١) المرجع نفسه، ص ٧١

(١٣٢) المرجع نفسه، ص ٧٣

(١٣٣) المرجع نفسه، ص ٦٤

(١٣٤) المرجع نفسه، ص ٧٠

ويوجه (هيكل) أصابع الاتهام إلى الاستعمار الغربي، حيث كشف عن دور الاستعمار في تأييد ما دُسَّ على الإسلام، وعلى سيرة الرسول من خرافات لا يسيغها العقل ولا يقبلها الذوق، وعلى تأييد الطاعنين على الإسلام وعلى رسوله بما دُسَّ على الإسلام وعلى سيرة الرسول<sup>(١٣٥)</sup>.

ويتبنى هذا الاتجاه المنكر للمعجزات المادية للرسول في الوقت المعاصر (جورج طرابيشي) في كتابه (المعجزة أو سُبات العقل في الإسلام) حيث يرى أن النبي لم يكن له معجزة مثل بقية الأنبياء وهذا في رأيه ما جعل الشك يتزايد في رسالته عند العرب<sup>(١٣٦)</sup>، وحثته أن روايات السيرة وعشرات الآيات القرآنية يُستخلص منها أنه ليس للنبي سند من المعجزات سوى القرآن<sup>(١٣٧)</sup>، ويرى أنه رغم ذلك فهناك الكثير من المعجزات التي نُسبت للنبي وهي عند (ابن هشام:ت213هـ) عشر معجزات ثم جعلها (الماوردي:ت450هـ) في أعلام النبوة قرابة الأربعين معجزة وبلغت عند (القاضي عياض:544هـ) قرابة المائة والعشرين معجزة، وزعم البعض أن له ثلاثة آلاف معجزة<sup>(١٣٨)</sup>.

وينكر الدكتور حسن حنفي (ت٢٠٢١م) أن تكون للنبي معجزة غير القرآن؛ وحثته أن المعجزة ليست ذات جدوى خاصة لخاتم الأنبياء لأن هذه المرحلة هي مرحلة اكتمال الوحي واستقلال العقل والاعتماد على المعجزات الخارقة للطبيعة يعد ارتداداً إلى الوراء حيث ضعف العقل الإنساني ولذلك كانت المعجزة مستحيلة عقلاً<sup>(١٣٩)</sup>.

كل هذا يوضح قوة الاتجاه الذي ينكر خوارق ومعجزات الرسول الخيرية ولا يعترف بغير القرآن سيراً مع الاتجاه التجريبي الحديث الذي يتمسك بالحمية ويرى القول بالمعجزات مخالفاً للعقل ومناقضاً للعلم ومضاداً لقوانين الطبيعة الحتمية والصارمة التي تحكم عالمنا؛ الذي هو في نظر المحققين آلة كبيرة مترابطة ولا يدخل في عملها أي عامل خارجي.

(١٣٥) المرجع نفسه، ص٣٦

(١٣٦) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ص ١٧

(١٣٧) المرجع نفسه، ص٣٢

(١٣٨) المرجع نفسه، ص٧٦

(١٣٩) حسن حنفي: مرجع سابق، ج٤، ١٦٢ وما بعدها

## الاتجاه الثاني: تأويل خوارق النبي المادية (الكونية والحسية):

قدّم بعض المفكرين تأويلات للخوارق المادية التي وردت في ظواهر القرآن وكثير من الأحاديث الصحيحة، وأعرض فيما يلي بعض هذه التأويلات:

**1 - الإسراء والمعراج** ، وقد ورد ذكر الإسراء في الآيات الأولى من سورة الإسراء، وجاء ذكر المعراج في أوائل سورة النجم، قال ابن عاشور (ت ١٩٧٣م) في تفسيره لسورة الإسراء " فللنبي - صلى الله عليه وسلم - كَرَامَتَانِ: أُولَاهُمَا الْإِسْرَاءُ وَهُوَ الْمَذْكُورُ هُنَا، وَالْأُخْرَى الْمِعْرَاجُ وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي حَدِيثِ الصَّحِيحَيْنِ مُطَوَّلًا وَأَحَادِيثَ غَيْرِهِ وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ (١٤٠).

وكما يذكر أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ) فإن السلف والخلف اختلفوا في هل كان الإسراء بالروح والجسد أم بالروح فقط؛ فقال: إن طائفة ذهبوا إلى أنه كان إسراء بالروح وأنه لم يفارق شخصه مضجعه، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق، ورؤيا الأنبياء حقٌ وذكر أن من ذهب إلى هذا معاويةٌ وعائشةٌ، وحكي عن الحسن وابن إسحاق، وقالت طائفةٌ: كان الإسراء بالجسد يقظةً إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح، واحتجوا بقوله تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء، وقالوا لو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره، فإنه كان يكونُ أبلغُ في المدح، ثم قال القرطبي إن معظم السلف والمسلمين قد ذهبوا إلى أنه كان إسراءً بالجسد وفي اليقظة، وأنه ركب البراق بمكة، ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه ثم أُسري بجسده (١٤١).

وقد صنفت كتب كثيرة حول الإسراء والمعراج منها:

- ١ - الكوكب الوهاج في أحاديث المعراج، لأبي بكر البسطامي
- ٢ - الآيات البيّنات في معراج سيد الأرض والسموات، لمحمد بن يوسف الشامي الصالحي
- ٣ - الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، لنجم الدين الغيطي
- ٤ - الآية الكبرى في قصة الإسراء، للسيوطي
- ٥ - السراج الوهاج في الإسراء والمعراج، لأبي إسحاق النعماني

(١٤٠) ابن عاشور: مرجع سابق، ج ١٥، ص ٢٣، ٢٤

(١٤١) القرطبي: مرجع سابق، ج ١٠، ص ٢٠٨

وقد أورد السيوطي في كتابه (الآية الكبرى) خمسة عشر حديثاً عن الإسراء والمعراج، ثم تحدثت تحت عنوان حقيقة الإسراء والمعراج فقال إن الناس اختلفوا هل كانا في ليلة واحدة، وأيهما كان قبل الآخر، وهل كان في اليقظة أو في المنام، أو بعضه في اليقظة وبعضه في المنام، زهل كان مرة أو مرتين أو مرات، ثم قال: ذهب الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أنهما وقعا في ليلة واحدة في اليقظة<sup>(١٤٢)</sup>.

ويبدو واضحاً قوة النصوص ثبوتاً ودلالة على حدوث الإسراء والمعراج ولذلك رأينا خضوع ابن عاشور لهذه النصوص وعدم خوضه في تأويلها رغم شغفه بتأويل بعضها من خوارق الأنبياء كما رأينا سابقاً.

ولكن هناك من تحرج من هذه الخارقة الشهيرة، فهذا السيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م) يذكر أن بعض المسيحيين يهزعون من المسلمين لقولهم بالإسراء والمعراج، ونتيجة لذلك يقرر أن الإسراء والمعراج مجرد حلم أو رؤيا<sup>(١٤٣)</sup>.

وقد اجتهد محمد حسين هيكل في التدليل على أن الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط؛ بمعنى أن النبي لقوة روحه انجمت له الحياة الروحية في الكون كله من الأزل إلى الأبد فاطلع عليها واطلع على ما في السموات وما في الأرض، وهو يرى أن الإسراء بالروح وبهذا المعنى لا يتناقض مع ما كشفه العلم الحديث من انتقال الأصوات والصور والمكتوبات عبر الأثير<sup>(١٤٤)</sup>.

## ٢ - انشقاق القمر

وقد وردت في قوله تعالى: "اقتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ" (القمر: 1) ذكر (ابن كثير) أن القمر انشق في زمان رسول الله، وأن ذلك ثابت في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة، وأن هذا أمر متفق عليه بين العلماء وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات<sup>(١٤٥)</sup>.

(١٤٢) السيوطي: الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء، ضمن كتاب الإسراء والمعراج لابن حجر العسقلاني والسيوطي، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ص ٤٦  
(١٤٣) سيد أحمد خان: الخطابات الأحمديّة في العرب والسيرة المحمدية، دوست ايسوسي اينس، ناشران وتاجران كتب، الكريم ماركيث اردو بازار، لاهور، ص ٣٥٣، ٣٥٥  
(١٤٤) محمد حسين هيكل: مرجع سابق، ص ٢٠٧-٢٠٩  
(١٤٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج ٧، ص ٤٧٢

ورغم أن رشيد رضا يورد كثيراً من هذه الأحاديث التي جاء فيها انشقاق القمر إلا إنه في النهاية يسقطها جميعاً على اعتبار أن أكثرها مراسيل وما صح منها متضارب، ثم يؤول ما ورد من سورة القمر بقول انشق القمر أي طلع وانتشر نوره، وهذا كما يذكر موافق للغة ويؤيده سياق الآيات ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر<sup>(١٤٦)</sup>

ورغم أن الطاهر بن عاشور ينقل رأي الجمهور في أن انشقاق القمر هو من المعجزات الكبرى للرسول وينقل أيضاً الأحاديث الصحيحة التي تؤكد حدوث معجزة انشقاق القمر، إلا إننا نجده يقدم تأويلات عدة لهذه المعجزة، وهو من خلال هذا التأويل يريد أن يدل على أن القمر لم ينشق نصفين كما قال به المفسرون.

أول هذه التأويلات عند (ابن عاشور) أنه يجوز أن يكون قد حدث خسف عظيم في كرة القمر أحدث في وجهه هوة لاحت للناظرين في صورة شقه إلى نصفين بينهما سواد حتى يخيل أنه منشق إلى قمرين، فالتعبير عنه بالانشقاق مطابق للواقع لأن الهوة انشقاق وموافق لم رأى الناس لأنهم رأوه كأنه مشقوق.

والتأويل الثاني أنه يجوز أن يكون قد حصل في الأفق بين سمت القمر وسمت الشمس مرور جسم سماوي من نحو بعض المذنبات حجب ضوء الشمس عن وجه القمر بمقدار ظل ذلك الجسم على نحو ما يسمى بالخسوف الجزئي، وليس في لفظ أحاديث أنس بن مالك عند مسلم والترمذي، وابن مسعود وابن عباس عند البخاري ما يناكده هذا.

والتأويل الثالث أنه من الممكن أن يكون هذا الانشقاق حدثاً مركباً من خسوف نصفي في القمر على عادة الخسوف فحجب نصف القمر، والقمر على سمت أحد الجبلين وقد حصل في الجو ساعتئذٍ سحب مائي انعكس في بريق مائه صورة القمر مخسوفاً بحيث يخاله الناظر نصفاً آخر من القمر دون كسوف طالماً على جهة ذلك الجبل، وهذا من غرائب حوادث الجو. وقد عرفت حوادث من هذا القبيل بالنسبة لإشعاع الشمس، ويجوز أن يحدث مثلها بالنسبة لضوء القمر على أنه نادر جداً.

(١٤٦) انظر مجلة المنار، المجلد رقم ٣٠، ص ٢٦١، ٣٦١

ونتيجة لهذه التأويلات يرى ابن عاشور أن إطلاق الانشقاق على حدوث هوة في سطح القمر إطلاق حقيقي، وإطلاقه على انطماس بعض ضوءه استعارة، وإطلاقه على تفرقه نصفين مجاز مرسل<sup>(١٤٧)</sup>.

### ٣- قتال الملائكة يوم بدر

يعتقد الجمهور أن الملائكة نزلت وقاتلت مع المسلمين يوم بدر، قال الإمام القرطبي "تظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت" <sup>(١٤٨)</sup> ومن المحدثين قال (ابن عاشور): "وقد ثبت أن الملائكة نزلوا يوم بدر لنصرة المؤمنين، وشاهد بعض الصحابة طائفة منهم، وبعضهم شهد آثار قتلهم رجالاً من المشركين" <sup>(١٤٩)</sup>، وقد استدلوا بما ورد في القرآن (إِذْ تَسْتَعْيِثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ) (الأنفال 9).

وقد ذكر الزمخشري (ت 538هـ) أن هناك من قال إن الملائكة لم تقا تل يوم بدر وإنما كانوا يكثرن السواد ويثبتون المؤمنين، وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلهم، فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط، وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة<sup>(١٥٠)</sup>. وهذا الرأي هو ما تبناه (محمد عبده) فيقول "ليس في القرآن الكريم نص ناطق بأن الملائكة قاتلت بالفعل" <sup>(١٥١)</sup> ويفسر المدد بالملائكة الوارد في الآية بأنه كان بمعنى تثبيت القلوب وتقوية العزائم<sup>(١٥٢)</sup>. وإلى مثل ذلك ذهب أحمد مصطفى المراغي حين قال: "الإمداد بالملائكة يصح أن يكون من قبيل الإمداد بالمال الذي يزيد في قوة القوم، وأن يكون من الإمداد بالأشخاص الذين ينتفع بهم ولو نفعاً معنوياً، وذلك أن الملائكة أرواح تلبس النفوس فتمدّها بالإلهامات الصالحات التي تثبتّها وتقوى عزيمتها." <sup>(١٥٣)</sup>.

(١٤٧) الطاهر بن عاشور: مرجع سابق، ج ٧، ص ١٦٧-١٧٠  
(١٤٨) أبو عبدالله القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م، ج ٤، ص ١٩٢، ابن كثير، تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٠، ٢١  
(١٤٩) الطاهر بن عاشور: مرجع سابق، ج ٤، ص ٧٣  
(١٥٠) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ج ٢، ص ١٩١  
(١٥١) تفسير المنار، ج ٤، ص ٩٣  
(١٥٢) المرجع نفسه، ج ٤، ص ٩٤  
(١٥٣) أحمد مصطفى المراغي، مرجع سابق، ج ٤، ص ٥٧

٤ - هلاك أبرهة وجيشه بالطير الأبايل

والتي وردت في سورة الفيل وتعد إرهاباً لبعثة النبي، وفيها { وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ \* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ \* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ } (الفيل: ٣-٥).

وقد ذكر المفسرون أن هلاك أبرهة وجيشه كان بأن أرسل الله عليهم طيوراً تحمل حجارة في أفواهها وأقدامها وألق بها على أبرهة وجيشه مما كان سبباً في هلاكهم وقد عدّ هذا من باب الإرهاب لميلاد النبي الخاتم قال أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تفسيره "قَالَ عَلَمًاؤُنَا: كَانَتْ قِصَّةُ الْفِيلِ فِيمَا بَعْدُ مِنْ مُعْجَزَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَتْ قَبْلَهُ وَقَبْلَ النَّحْدِيِّ، لِأَنَّهَا كَانَتْ تَوْكِيدًا لِأَمْرِهِ، وَتَمْهيدًا لِشَأْنِهِ" (١٥٤).

ولكن سير سيد أحمد خان (ت ١٨٩٨م) عندما ساق قصة الفيل وأبرهة لم يذكر الطير الأبايل ولكن قال إن الجيش أصابه مرض الجدري الذي لم يكن معهوداً كن قبل في ذلك المكان<sup>(١٥٥)</sup>، وهذا ما قال به محمد عبده (ت ١٩٠٥هـ) فذكر أنهم أصيبوا بالجدري وأن المقصود بالطير الأبايل يمكن أن يكون البعوض أو الذباب الذي يحمل في أرجله الجراثيم أو يمكن أن تكون الميكروبات فهي تطير أيضاً وفي جماعات لا تحصى<sup>(١٥٦)</sup>.

وكذلك أول محمد حسين هيكل (ت ١٩٦٤م) هذا الأمر الخارق فجعل هلاك أبرهة وجيشه بسبب مرض الجدري الذي تفشى في الجيش وقال ربما جاء هذا المرض من البحر الأحمر<sup>(١٥٧)</sup>.

وفي تفسيره يقول محمد فريد وجدي "ولا يبعد من أن تكون تلك الطيور ميكروبات الطاعون إذا لا مانع من تسميتها طيوراً"<sup>(١٥٨)</sup>.

(١٥٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، ج ٢٠، ص ١٩٥

(١٥٥) سيد أحمد خان: مرجع سابق، ص ٣٠٣، ٣٠٤

(١٥٦) محمد عبده: تفسير جزء عم، مطبعة مصر، نشرته الجمعية الخيرية الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٣٤١هـ، ص ١٥٨

(١٥٧) محمد حسين هيكل: مرجع سابق، ص ١١٩-١٢٠

(١٥٨) محمد فريد وجدي: المصحف المفسر، ص ٨١١

٥ - حفظ النبي من سراقه بن مالك

وهي مما رواه البخاري ومسلم " عَنْ أَبِي إِسْحَقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبِرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْمَدِينَةِ، تَبِعَهُ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَاحَتْ بِهِ فَرَسُهُ قَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي وَلَا أُضْرِكْ، فَدَعَا لَهُ " (١٥٩).

وقد عرض (هيكل) قصة سراقه وجعل فرسه قد أنكه وكبا أكثر من مرة من شدة التعب فحسب سراقه أن الآلهة لا ترضى فعله فلم يقدم على إيذاء النبي (١٦٠)، وإني لأعجب من تكلف الدكتور هيكل إذا يتكلم وكأنه رأى الحادثة ورأى فرس سراقه وقد أنهكه التعب فكبا مرات ولم يدرك سراقه تعب فرسه وهو فارس بل ظن حسب رواية هيكل أن الآلهة لا ترضى فعله فعاد وترك النبي سالماً وهو الطالب له أو للجائزة الكبرى التي رصدتها قريش! ولكن كيف يناقش الدكتور هيكل وهو لا يقر بالأحاديث الصحاح في البخاري ومسلم.

٦ - شق الصدر

وقد ورد شق صدر النبي في أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي (ت٢٩٧هـ) في سننه قال " حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، وَابْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ " :بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدٌ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ، فَأَتَيْتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مَاءٌ زَمَزَمَ، فَشَرَحَ صَدْرِي إِلَى كَذَا وَكَذَا - قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: مَا يَعْنِي؟ - قَالَ: إِلَى أَسْفَلِ بَطْنِي، فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي، فَعُسِلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمَزَمَ، ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانًا" (١٦١).

(١٥٩) محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الفكر، بيروت، ص ٦٤٠

(١٦٠) محمد حسين هيكل: مرجع سابق، ص ٢٢٧

(١٦١) أبو عيسى الترمذي: سنن الترمذي، الجزء الخامس، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة ألم نشرح، رقم الحديث ٣٣٤٦

وقد جاءت الأحاديث بأن شق الصدر حدث أكثر من مرة، قال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) "وَقَدْ اسْتَنَكَرَ بَعْضُهُمْ وَفُوعُ شَقِّ الصَّدْرِ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ وَهُوَ صَغِيرٌ فِي بَنِي سَعْدٍ، وَلَا إِتْكَارَ فِي ذَلِكَ؛ فَقَدْ تَوَارَدَتِ الرُّوَايَاتُ بِهِ. وَثَبَّتَ شَقُّ الصَّدْرِ أَيْضًا عِنْدَ النَّبِئَةِ"<sup>(١٦٢)</sup>، ثم قال: "وَجَمِيعُ مَا وَرَدَ مِنْ شَقِّ الصَّدْرِ وَاسْتِخْرَاجِ الْقَلْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ مِمَّا يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ دُونَ التَّعَرُّضِ لِصَرْفِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِصَلَابَةِ الْقُدْرَةِ، فَلَا يَسْتَحِيلُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ."<sup>(١٦٣)</sup>.

ورغم أن كثيرًا من المفسرين يذكرون بعضًا من هذه الأحاديث الواردة في شق الصدر عند تفسيرهم لسورة الشرح مثل ما فعل ابن كثير<sup>(١٦٤)</sup> والقرطبي<sup>(١٦٥)</sup> إلا أن محمد عبده عند تفسيره لسورة الشرح لم يذكر هذه الحادثة الخارقة ولا أية أحاديث عن شق الصدر وجعل شرح الصدر هو هداية الله لنبيه بالوحي<sup>(١٦٦)</sup>، وكذلك فعل أحمد مصطفى المراغي في تفسيره<sup>(١٦٧)</sup>، ومحمد فريد وجدي في المصحف المفسر<sup>(١٦٨)</sup>.

أم السيد أحمد خان فقد رفض كل الأحاديث الواردة في شق الصدر سواء ما ذكر من حادثة الشق في طفولته أو عند الإسراء والمعراج<sup>(١٦٩)</sup>

وهكذا قدم المتحرجون من الخوارق المادية لنبي الإسلام تأويلات لما ثبت منها في القرآن أو الحديث ويبدو أن هذه التأويلات فيها تعسف كبير، ورأيي أنه إن صحّ حدوث هذه الخوارق فلا مجال لتأويلها فالواجب هو البحث في سندها والتحقق من ذلك فإن ثبتت فيجب التسليم بها لموافقته الأصل من أن الأنبياء تحدث لهم الخوارق تأييدًا وإكرامًا.

(١٦٢) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، الناشر: المكتبة السلفية - مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ، ج ٧ ص ٢٠٥

(١٦٣) المرجع نفسه، ج ٧، ص ٢٠٥

(١٦٤) انظر ابن كثير، مرجع سابق، ج ٥، ص ٤١٥

(١٦٥) انظر القرطبي، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ١٠٤

(١٦٦) انظر محمد عبده، تفسير جزء عم، ص ١١٤ وما بعدها

(١٦٧) انظر المراغي، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ١٨٩ وما بعدها

(١٦٨) انظر، محمد فريد وجدي، المصحف المفسر، ص ٨٠٣

(١٦٩) انظر سيد أحمد خان، ص ٣٥١ - ٣٥٣

## الاتجاه الثالث: إثبات الخوارق المادية (الكونية والحسية) للرسول الخاتم بدون تأويل

أكد الأشاعرة على وجود معجزات مادية للرسول؛ فهذا (الباقلائي ت٤٠٣هـ) يذكر خوارق كونية وحسية، كانشقاق القمر، واستنزال المطر، وإزالة الضرر من الأمراض، ونبع الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في يده، ونطق البهائم، إلى غير ذلك من المعجزات والآيات الخارقة للعادة<sup>(١٧٠)</sup>. وكذلك أقرت المعتزلة بهذه المعجزات؛ فدافع القاضي عبد الجبار عن هذه المعجزات وغيرها وأفرد لذلك كتاب (تثبيت دلائل النبوة) أورد فيه كثيرًا من هذه المعجزات موضحًا صدق حدوثها وقوة دلالتها على النبوة، وهذا ما فعله أيضا في موسوعته (المغني) حيث قدم الحجج القوية على أن هذه المعجزات من دلائل وأعلام النبوة الصحيحة<sup>(١٧١)</sup>، والاتجاه السلفي هو أقوى الاتجاهات إيمانًا وتمسكًا ودفاعًا عن هذه المعجزات، وقد زعم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) أن الله جمع للرسول جميع أنواع المعجزات والخوارق<sup>(١٧٢)</sup>.

واستمر الاتجاه السلفي في الدفاع عن معجزات النبي وخاصة ما ورد في القرآن وكان الشيخ مصطفى صبري (ت١٩٥٤م) من المنشغلين بالرد على الاتجاه الرافض والمؤول لهذه المعجزات، ومؤكدًا على حدوث المعجزات الكونية للرسول كانشقاق القمر والإسراء والمدد بالملائكة في بدر<sup>(١٧٣)</sup>.

**وحديثًا يذكر (رفاعة الطهطاوي: ت١٨٧٣م) أن المعجزات المادية للرسول ثابتة وهي التي وردت في القرآن الكريم والسنة الصحيحة؛ وعند الطهطاوي أن النبي قد جمع له الله كل معجزات الأنبياء السابقين، ويذكر أن من أمهات معجزاته انشقاق القمر الذي أجمع أهل السنة والمفسرون على حدوثه، ويذكر خوارق حدثت يوم الهجرة مثل نسيج العنكبوت وتعشيش الحمامتين وما حدث لفرس سراقه بن مالك وشاة أم معبد، وأيضا معجزات شفائه لبعض أصحابه، وكذلك استجابة دعائه، وحنين الجذع وتسبيح الحصى في كفه، وتكثير الطعام، وإخباره بالغيوب<sup>(١٧٤)</sup>.**

(١٧٠) الباقلائي: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م، ص٦٠

(١٧١) القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج١٦ إعجاز القرآن، تحقيق أمين الخولي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م ص٤٠٧ وما بعدها، وتثبيت دلائل النبوة، دار المصطفى، شبرا، القاهرة

(١٧٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج١١، ص٣١٥

(١٧٣) مصطفى صبري: مرجع سابق، ج٤، ص١٧٠

(١٧٤) رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة، الجزء الرابع، سيرة الرسول وتأسيس الدولة الإسلامية، تحقيق د/ محمد عمارة، دار الشروق، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة، ٢٠١٠/٢٠١١، ص٤١٩-٤٢٩

ولكن (الطهطاوي) يرفض خوارق نسبها بعض القصاص والعوام للرسول ولا أصل لها ومن ذلك قولهم إن القمر دخل في جيبه وخرج من كفه، وكذلك ما يذكره العوام من أن الورد مخلوق من عرقه، وكذلك ما قالوه من تأثير قدمه في الصخر<sup>(١٧٥)</sup>.

قدّم هذا الاتجاه دفاعاً عن هذه الخوارق المادية للرسول، وحجتهم أنّ هذه المعجزات وردت في الأحاديث الصحيحة والثابتة، ثم إن هذه المعجزات ليست من المحالات عقلاً، فهذا شيخ الأزهر عبد الحليم محمود (ت1978م) ألف كتاباً حول معجزات النبي بعنوان (دلائل النبوة ومعجزات الرسول) وقال فيه "ونؤمن أيضاً بمعجزات محمد صلى الله عليه وسلم إذا وردت عن طريق صحيح نؤمن بها على تنوعها واختلافها ما دامت قد وردت في القرآن الكريم أو في صحاح الأحاديث"<sup>(١٧٦)</sup>، وهي في رأيه لا تتناقض العقل<sup>(١٧٧)</sup>.

وحاول البعض كذلك إثبات أن هذه المعجزات تتوافق مع العلم الحديث، فنحن نرى محمد فريد وجدي يبيّن أن الإسراء كان بالروح والجسد وأن هذا لا يتنافى مع ما وصل إليه العلم الحديث لأن انتقال الإنسان من مكان إلى مكان بواسطة القوة الروحية أثبتته العلم الحديث وعلى ذلك فإن إيماننا بإسراء النبي لا يعارض العلم الحديث<sup>(١٧٨)</sup>.

إن فقد ذهب البعض لمحاولة إثبات أن هذه المعجزات المادية تتوافق مع القوانين الطبيعية أو لا تتناقض مع ما كشفه العلم، ولكن ليس كل المعجزات يمكننا أن نقول إن العلم يقبلها أو يمكن تخريجها وفق ما كشفه العلم، فمثلاً كيف يمكن أن يكون إنشقاق القمر موافقاً للعلم إلا على رأي من يرى أنه كان كسوفاً وحينئذ يخرج عن كونه إنشقاقاً حقيقياً، كذلك نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وغير ذلك لا يمكن حتى الآن أن يكون ممكناً علمياً، وعلى هذا فإن محاولة المدافعين عن الخوارق الحسية إثبات موافقتها للعلم التجريبي محاولة في رأيي غير ناجحة.

والحق فإن هذه المحاولات التي تحاول إيجاد توافق بين خوارق الأنبياء والعلم محاولة لا أساس لها من العلم أو الدين، لأن كون الشيء خارقاً يعني أنه لا يمكن فهمه حسب القوانين العلمية

(١٧٥) المصدر نفسه، ص ٤٣٠

(١٧٦) عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ومعجزات الرسول، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩١م ص ٢٠٩

(١٧٧) المرجع نفسه، ص ٢١٥

(١٧٨) محمد فريد وجدي: الإسلام في عصر العلم، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ص ٣٢٠

وإلا لو أنه خضع للعلم وقوانينه وصار مفهوماً ومقبولاً علمياً لسقط عن كونه خارقاً، وبذلك فإن كل ما قاله هؤلاء هو تكلف غير مفيد وغير مقنع، ولا بد أن ندرك أن فاعل هذه الخوارق هو الله وحده وهو الذي يدرك سرها.

### ويقدم بعض هؤلاء ردوداً على استدلال المنكرين لهذه الخوارق الحسية المنسوبة للنبي

١ - الرد على استدلال المنكرين بقوله تعالى: "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ" (الإسراء: ٥٩).

ويرد عليهم شيخ الأزهر محمد الخضر حسين (ت ١٩٥٨) بأنه ليس في هذه الآية ما يثير إشكالاً؛ فإن كفار قريش كانوا يقترحون على النبي - صلى الله عليه وسلم - آيات يصفونها، وإنما يقترحونها على وجه التعنت؛ مثل: الآيات التي حكاها الله عنهم في قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَجُزَّ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا \* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا \* أَوْ تُسْقَطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا \* أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُزْقِكَ حَتَّى تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} (الإسراء: 90 - 93). وذكر تعالى في جوابهم: أنه لا يرسل هذه الآيات التي اقترحوها تعنتاً؛ حيث علم أنهم سيلاقونها بالكذب، ودل على هذا: بأن قوماً يماثلونهم في طبائعهم النفسية كذبوا بمثل هذه الآيات<sup>(١٧٩)</sup>.

ويرد أيضاً الشيخ عبدالحليم محمود (ت 1978م) على من استدلل بقوله تعالى "وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ" (الإسراء: 59) بأن الله لم يجب قريشاً إلى ما طلبوه من معجزات لأنه من سنته سبحانه تدمير الأقسام الذين يكذبون بالمعجزات التي يطلبونها فلو أجاب قريش لما طلبوه ثم كذبوا كعادتهم وكعادة الأقسام قبلهم لأهلكهم ولكن شاء الله أن يبقيهم فأمنوا بعد ذلك وخرج منهم من ينشر الإسلام كخالد وغيره<sup>(١٨٠)</sup>.

٢ - الرد على استدلال المنكرين بقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ \* أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (العنكبوت: ٥٠ - ٥١) .

(١٧٩) محمد الخضر حسين: مرجع سابق، ص ١٩٨ وما بعدها

(١٨٠) عبدالحليم محمود: مرجع سابق، ص ٢١٠، ٢١١

وهذه الآية وأمثالها استشهد بها المستشرق الألماني تيودور نلذكه (ت1930م) في كتابه (تاريخ القرآن) حيث يرى أن النبي رفض اجتراح المعجزات صراحة في مواضع كثيرة في القرآن معلناً أنه نذير وبشير فقط لذا رأى أن معجزة الإسراء والمعراج كانت مناماً رآه النبي<sup>(١٨١)</sup>.

فهذه الآية كما يوضح الشيخ محمد الخضر حسين (ت١٩٥٨م) لا دلالة فيها على مزاعم منكري الخوارق المادية للرسول؛ لأن الآية مرادها أنه لما سأل المشركون آية من رسول الله تعنتاً أخبرهم الله أن الآيات بيد الله فقط وحده ويحدثها وفق حكمته وقد أراهم الله آيات كافية وأعظمها القرآن فلو صدقوا في أنهم يطلبون الآيات ليؤمنوا لكان القرآن كافياً لذلك<sup>(١٨٢)</sup>.

ويرى الشيخ مصطفى صبري (ت١٩٥٤م) أن هذه الآيات لا تمنع وجود خوارق حسية للنبي وأن هذه الآيات وأمثالها قصد بها بيان أن أمر المعجزات بيد الله وحده فضلاً عن أن طالبي المعجزات كانوا مكابرين معاندين يعلم الله أنهم لن ينتفعوا بها<sup>(١٨٣)</sup>.

٣ - الرد على استدال منكري الخوارق المادية للرسول بقوله تعالى "فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا" (فاطر: ٤٣) .

أوضح الشيخ مصطفى صبري (ت١٩٥٤م) أن المراد بسنة الله في هذه الآية : عذاب الله الذي يقع على الأقسام الذين كذبوا الرسل بعد أن ظهرت لهم المعجزات البيّنات<sup>(١٨٤)</sup> والدليل على ذلك الآيات التي قبلها وهي قوله تعالى: { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِدْحَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا \* اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا } (فاطر 42-43)

وكلام الشيخ مصطفى واضح الصحة إذ إن سياق الآيات دالٌّ على أن المراد بسنة الله عذاب الله الذي يلحق بالمعاندين الجاحدين.

(١٨١) تيودور نولذكه: تاريخ القرآن، نقله للعربية جورج تامر وآخرون، دار نشر جورج ألمز، ٢٠٠٠م، الطبعة

الثانية، ج ١، ص ١٢٠

(١٨٢) محمد الخضر حسين: مرجع سابق، ص ١٩٩

(١٨٣) مصطفى صبري: مرجع سابق، ج ٤، ص ١٨٥ وما بعدها

(١٨٤) السابق، ج ٤، ص ١١٧

## هل استدل النبي الخاتم بالمعجزات المادية (الكونية والحسية) على صدقه وعلى صحة

رسالته؟

رغم أن الشيخ رشيد رضا (ت ١٩٣٥م) قلّل من قيمة خوارق النبي الحسية وأنكر بعض الخوارق الكونية مثل انشقاق القمر إلا أنه يرى أنه قد ثبت بطرق صحيحة للرسول خوارق حسية كثيرة، \_ وجاء هذا في ردوده على من يكثر المسلمين بمعجزات المسيح \_ ولكنه في رأيه لم يعتمدوا الرسول في الدعوة، وذكر من تلك الخوارق نبع الماء من أصابعه، والإخبار بالغيوب، وحنين الجذع وشفاء المرضى وغيرها<sup>(١٨٥)</sup>، وكذلك يرى محمد فريد وجدي أن النبي حدثت على يديه خوارق ومعجزات حسية كثيرة غير القرآن لكنه لم يتخذها أساساً للدعوة للإيمان<sup>(١٨٦)</sup>، ويرى د/جمال نصار أن الخوارق صاحبت النبي في حلّه وترحاله وفي كل مكان وزمان ولكن لم تُسمَّ معجزات لأنه لم يتحد بها<sup>(١٨٧)</sup>، وربما هذا يفهم أيضاً من قول ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) " والمعتمد القرآن وغيره تكلمة"<sup>(١٨٨)</sup>. وهنا نحاول التعرف على إجابة السؤال التالي:

إنّ فإنه رغم اعتراف بعض المفكرين بحدوث الخوارق الحسية للنبي الخاتم إلا إنهم يقولون إن النبي لم يحتجّ بها على نبوته، من أجل هذا أكثر مفكرونا في العصر الحديث من أن نبينا لم يستدل بالمعجزات الحسية مراعاة للعقل البشري ورفضاً لمخالفة القوانين الطبيعية، فهذا محمد رشيد رضا في كتابه (الوحي المحمدي) يتبنى هذه الفكرة فيؤكد على أن ما رواه المحدثون من الآيات الكونية التي أكرم الله تعالى بها رسوله محمداً ورغم أنها أكثر من كلّ ما رواه الإنجيليون وأبعد عن التأويل، ولكنه لم يجعلها برهاناً على صحة الدين، ولا أمر بتلقينها للناس، ذلك بأن الله تعالى جعل نبوة محمد ورسالته قائمة على قواعد العلم والعقل في ثبوتها وفي موضوعها؛ لأن البشر قد بدعوا يدخلون بها في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه فيه لاتباع من تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألوف في سنن الكون، بل لا يكمل ارتقاؤهم واستعدادهم العقلي مع هذا الخضوع، بل هو من موانعه<sup>(١٨٩)</sup>.

(١٨٥) محمد رشيد رضا: مجلة المنار، المجلد السادس، ص ٦٨، الوحي المحمدي، ص ٥٤

(١٨٦) محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، المجلد السادس، ص ٢٠١

(١٨٧) د/جمال نصار حسين: الشريعة والمعجزة رؤية معاصرة، بحث في مجلة التربية قطر، سبتمبر ٢٠٠٤، رقم العدد ١٥٠، ص ٢٣١

(١٨٨) ابن خلدون: لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق د. عباس محمد حسن، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٦م، ص ١٧٧

(١٨٩) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١١٢

ويعلل رشيد رضا حدوث تلك الخوارق الحسية والكونية للنبي، فهي لم تكن لإقامة الحجة على نبوته ورسالته، بل كانت من رحمة الله تعالى وعنايته به وبأصحابه في الشدائد، كنصرهم على المعتدين من الكفار الذين يفوقونهم عدداً وعتاداً، مثلما حدث في غزوة بدر والأحزاب، ومن تلك الآيات: شفاء المرضى، وإبصار الأعمى، وإشباع العدد الكثير من الطعام القليل في غزوة الأحزاب وفي غزوة تبوك، كما وقع للمسيح عليه السلام<sup>(١٩٠)</sup>، وجملة القول: أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قد ثبتت بنفسها، أي بالبرهان العلمي والعقلي الذي لا ريب فيه، لا بالآيات والعجائب الكونية، وإن هذا البرهان قائم ماثل للعقول والحواس في كل زمان<sup>(١٩١)</sup>.

### تعقيب :

رأينا كيف مثلت خوارق الأنبياء جدلاً في الفكر الإسلامي الحديث وكيف أثار الفكر الغربي الحديث في رؤيته تجاه الخوارق، حيث سعى كثير من المفكرين إلى متابعة الأفكار الحديثة كالعقلانية والمادية والاحتمية، والتي كان من نتائجها أن أمسّت الخوارق غير مقبولة ولا مكان لها وتمثل حرجاً لدى هؤلاء المتابعين للأفكار الغربية، فأضحت خوارق الأنبياء بين الإنكار الخالص والتأويل المتعسف، ولكن الغرض لهؤلاء المفكرين كان صالحاً فقد إظهار الإسلام موافقاً للعلم الحديث، وخافوا من اتهامه بمجافاة العقل ومخالفة السنن الكونية، وكذلك أرادوا أن يكون الإسلام مقبولاً لدى الغربيين وكذلك المتشبعين بالثقافة الغربية وهم الطبقة الراقية والمتنقفة في مجتمعنا، وعلى ذلك لا يصح أن نقابل اجتهاد هؤلاء المفكرين بالتشكيك في نواياهم أو بالاستهزاء أو بالتكفير أو غير ذلك، بل يجب أن نلتمس لهم العذر ونشكر لهم جهدهم واجتهادهم.

أما عن خوارق الأنبياء فالحق فيها عندي أن ما ثبت بنص قطعي صحيح وصريح فلا بد من التسليم به؛ فالله سبحانه قادر على كل شيء والخوارق داخلية في قدرته لاسيما وهي ليست من المحال عقلاً، وأما عن جدلهم في هل الخوارق تحدث وفق سنن كونية خفية أو هي تحدث مخالفة للسنن الكونية؟ فأرى أن هذا لا يمكن الجزم فيه برأي لأننا لا نعرف سر هذه الخوارق وإن كان الظاهر أنها تخالف السنن الكونية المعروفة.

(١٩٠) السابق، ص ١١٣

(١٩١) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص ١١٥

ويمكننا أن نقول مع (جورج طرابيشي) إن نقد أدبيات المعجزة في الإسلام لا يمس جوهره التأسيسي كما هو الحال في المسيحية وبالتالي فسيكون هذا النقد في صالحه على الأخص لصالح العقلانية التي هو بأمس الحاجة إلى أن يعيد التفكير بموروثه على أساسها (١٩٢).

فلا بد إذن من تمحيص الروايات التي نسبت الخوارق الكثيرة للرسول ولا ينبغي التهاون في قبولها دونما تثبُّت لأن الكثير منها لم يصحَّ وكيف لنا أن نقبل قول القائل إن الرسول كانت له ألف معجزة!

إن سعي البعض للدفاع عن الخوارق وخاصة المعجزة أدى بهم إلى ما يعده الكثيرون خطأً جسيماً وهو إنكار السببية وهذا ما أشار إليه (إقبال:ت1938م) وأوضح كيف أن الأشاعرة أنكروا قانون السببية ليثبتوا المعجزات وأن الغزالي كان أفضل من مثل هذا الموقف (١٩٣). وإن كان البعض يرى أن الأشاعرة والغزالي خاصة لم ينكروا السببية وإنما أنكروا الترابط الضروري الحتمي بين الأشياء (١٩٤).

وأشارت الدكتورة يمنى الخولي إلى خطورة هذه النظرة القديمة لعلماء الكلام المسلمين خاصة لدى الأشاعرة على العقل والعلم، لأنهم من أجل الإبقاء على فكرة المعجزات أنكروا السببية والترابط الحتمي في الطبيعة، وهذا ما جعل (يمنى الخولي) تدعو لقطيعة معرفية مع التراث الكلامي فيما يخص الطبيعيات لخطورة مقولاتهم وضررها على مستقبل العلم في بلادنا! (١٩٥).

ولكننا نقول معها أيضاً إن الحتمية قد تراجعت كما ثبت بعد اكتشاف قوانين الديناميكا الحرارية والنظرية الحركية للغازات والسوائل والتي ظهر معها عجز الحتمية المادية (١٩٦)، ونقول للدكتورة يمنى إن المسلمين تقدموا في السابق وكانت مقولات المتكلمين موجود ومعرفة ولم تعقهم عن النبوغ والإبداع والكشف عن حقائق علمية كثيرة والمساهمة في تقدم العلم، وأيضاً نقول لها إن الكليات العلمية عندنا لا تدرس علم الكلام ولا حتى الفلسفة فلا يخشى أحد على العلم في بلادنا من

- (١٩٢) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، ص ١٧٩  
 (١٩٣) محمد إقبال: تطور الفكر الفلسفي في إيران، ترجمة حسن الشافعي، دار الفنية للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، ص ٦٢  
 (١٩٤) محمد باسل الطائي: الطبع والسببية عند الباقلاني، بحث منشور بمجلة دراسات الجامعة الأردنية، حزيران ٢٠٠٦، ص ١٣  
 (١٩٥) د. يمنى طريف الخولي: الطبيعيات في علم الكلام، من الماضي إلى المستقبل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٥م، ص ٨٢-٨٥  
 (١٩٦) د. يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، ضمن سلسلة عالم المعرفة، عدد ديسمبر ٢٠٠٠م، رقم العدد ٢٦٤، ص ١١٠ وما بعدها

تراثنا الذي يعد مهملًا وبشكل واضح في المناهج العلمية، هذا إن صحَّ أن التراث الكلامي لا يساعد على تقدم العلم، بل ربما كان العكس هو الصحيح<sup>(١٩٧)</sup>

وعلى ذلك لا يصح رفض المعجزات الثابتة تمسكًا بالاحتمية المادية، ولا يصح كذلك التشكيك في العقائد الدينية الثابتة لمجرد الاعتماد على نظرية علمية ذلك لأن العلم كثيرًا ما يتأثر بالعوامل الاجتماعية التي توجه النظريات العلمية اتجاهات بعينها، وبذلك يصبح العلم ظاهرة إنسانية ليست يقينية ترتبط غالبًا بتوجهات الإنسان<sup>(١٩٨)</sup>.

---

(١٩٧) انظر في ذلك كتاب محمد باسل الطائي، دقيق الكلام الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة، عالم الكتب الحديثة، اربد، الأردن، ٢٠١٠م،  
(١٩٨) د. يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين ص ٤٢٥، ٤٤٠

## الخاتمة

- في ختام هذا البحث نستطيع أن نقول إننا توصلنا إلى مجموعة من النتائج وهي كالآتي:
- ١ - تبين أن خوارق الأنبياء منها المعجزة، والكرامة، والمعونة، والإرهاص.
  - ٢ - اتضح أنه لا يصح إنكار السببية توصلًا إلى إثبات إمكانية خوارق الأنبياء، ولا يصح كذلك إنكار خوارق الأنبياء تمسكًا بالسببية والحتمية.
  - ٣ - ثبتت تأثر بعض المفكرين المسلمين بأفكار غربية أثرت في رؤيتهم تجاه خوارق الأنبياء ومن هذه الأفكار: العقلانية والحتمية المادية وقانون الحالات الثلاثة.
  - ٤ - تحرج بعض المفكرين من الحديث عن خوارق الأنبياء ورأوا أن الحديث عنها ينفّر الكثيرين عن الدين.
  - ٥ - اتضح خطأ المفكرين في محاولة تبريرهم حدوث خوارق الأنبياء السابقين بأنها ناسبت مرحلة ضعف العقل البشري.
  - ٦ - قدّم بعض المفكرين تأويلات لخوارق الأنبياء لجعلها متوافقة مع القوانين الطبيعية، ولكن جاء الكثير منها متعسفًا وغير مقبول.
  - ٧ - ظهر إنكار الخوارق الحسية للرسول صلى الله عليه وسلم عند بعض المفكرين الذين لم يعترفوا بغير القرآن معجزة له، وكان غرضهم من ذلك إظهار الإسلام متوافقًا مع الفكر الغربي الحديث.
  - ٨ - أصرّ الاتجاه السلفي واستمرّ على إثبات جميع الخوارق المنسوبة للرسول ودفع حجج المنكرين بأدلة قوية.
  - ٩ - ظهر اضطراب بعض المفكرين في موقفهم من الخوارق الحسية فقد يقبل المفكر بعضًا من هذه الخوارق وينكر بعضًا ويؤول بعضًا.
  - ١٠ - ثبت أن النظريات العلمية غير يقينية وبالتالي فلا يصح عرض العقائد الدينية عليها، لأن العقائد الدينية ثابتة وموثوقة بينما النظريات العلمية متغيرة وغير يقينية.

## مراجع البحث

- (١) إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م
- (٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم: مجموع الفتاوى، تحقيق عبدالرحمن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م
- (٣) \_\_\_\_\_: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق د/علي حسن وآخرون، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ
- (٤) ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية - مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠هـ
- (٥) ابن حزم، أبو محمد علي بن حزم: المحلى بالآثار شرح المجلى بالاختصار، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- (٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: لباب المحصل في أصول الدين، تحقيق د.عباس محمد حسن، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م
- (٧) \_\_\_\_\_: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن، والفهارس: أ.خليل شحادة، مراجعة: د.سهيل زكار، دار الفكر، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م
- (٨) ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد: تهافت التهافت، تحقيق د/ سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥م
- (٩) \_\_\_\_\_ مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق د/محمود قاسم، الطبعة الثانية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م
- (١٠) ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله: الإشارات والتنبيهات، تحقيق د/ سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٨،
- (١١) \_\_\_\_\_: كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، نقحه وقدم له د/ماجد فخري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٥م
- (١٢) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤
- (١٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٧
- (١٤) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ، ج١٠، حرف القاف فصل الخاء
- (١٥) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م
- (١٦) أبو الحسين الخياط: الرد على ابن الراوندي الملحد، تحقيق دكتور نيبيرج، مكتبة الدار العربية للكتاب-القاهرة، وأوراق شرقية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

- ١٧) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠ م
- ١٨) أبو منصور الأزهري: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠١ م
- ١٩) أحمد أمين: ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٣ م
- ٢٠) أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨، ج ١
- ٢١) أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م
- ٢٢) إسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م
- ٢٣) الإيجي: عضد الدين: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٩ م
- ٢٤) الباقلائي: أبو بكر محمد بن الطيب: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنانجات، المكتبة الشريفة، صححه ونشره الأب رتشارد يوسف مكارثي اليسوعي، بيروت، ١٩٥٨ م
- ٢٥) \_\_\_\_\_: الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠ م
- ٢٦) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، بيروت، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م، ج ١
- ٢٧) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، الجزء الخامس، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥ م
- ٢٨) التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م
- ٢٩) تيودور نولدكه: تاريخ القرآن، نقله للعربية جورج تامر وآخرون، دار نشر جورج ألمز، الطبعة الثانية، ٢٠٠٠ م
- ٣٠) الجرجاني: التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م
- ٣١) جمال نصار حسين: الشريعة والمعجزة رؤية معاصرة، بحث في مجلة التربية قطر، سبتمبر ٢٠٠٤، رقم العدد ١٥٠
- ٣٢) جورج طرابيشي: المعجزة أو سبات العقل في الإسلام، دار الساقى، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨
- ٣٣) جون هرمان راندال: تكوين العقل الحديث، الجزء الأول، ترجمة د. جورج طعمة، دار الثقافة بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٧ م
- ٣٤) الجوهرى: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧ م
- ٣٥) حسن حنفي: من العقيدة إلى الثورة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨ م

- ٣٦) خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م ج٦،
- ٣٧) ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية، ترجمة د. موسى وهبة، دار الفارابي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م
- ٣٨) رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة، الجزء الرابع، سيرة الرسول وتأسيس الدولة الإسلامية، تحقيق د/ محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة، ٢٠١١/٢٠١٠ م
- ٣٩) رون هالبير: العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار، الجهود الفلسفية عند محمد أركون، ترجمة جمال شحيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - سوريا، ط١، ٢٠٠١ م
- ٤٠) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت
- ٤١) سعد الدين التفتازاني: شرح العقائد النسفية، مكتبة النشري للطباعة والنشر، كراتشي باكستان، ١٤٣٠ هـ
- ٤٢) سيد حسين العفاني: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، دار ماجد عيري للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٤ م
- ٤٣) سيف الدين الأمدي: غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمود عبداللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩١ هـ
- ٤٤) السيوطي: الآية الكبرى في شرح قصة الإسراء، ضمن كتاب الإسراء والمعراج لابن حجر العسقلاني والسيوطي، تحقيق محمد عبد الحكيم القاضي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م
- ٤٥) عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م
- ٤٦) عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، تحقيق محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٨٨ م
- ٤٧) عبدالحليم محمود: دلائل النبوة ومعجزات الرسول، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ، ١٩٩١ م
- ٤٨) فخر الدين الرازي: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٤٢٩ هـ
- ٤٩) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، ضمن كتاب رسائل العدل والتوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م
- ٥٠) \_\_\_\_\_: المغني في أبواب التوحيد والعدل، الجزء الخامس عشر، التنبؤات والمعجزات، تحقيق محمود الخضيرى، محمود محمد قاسم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، الجزء السادس عشر، إعجاز القرآن، تحقيق أمين الخولي، ١٣٨٠ هـ، ١٩٦٠ م
- ٥١) القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبدالكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦ م
- ٥٢) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م

- ٥٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م
- ٥٤) القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت ٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، تحقيق: د. عبد الحليم محمود ود. محمود الشريف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م
- ٥٥) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م
- ٥٦) \_\_\_\_\_: المنقذ من الضلال، تقديم وتحقيق محمود بيجو، الطبعة الثانية، دار النقوى، دمشق، سوريا، ١٩٩٢م
- ٥٧) \_\_\_\_\_: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الثامنة، ١٩٧٢م
- ٥٨) محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار الفكر، بيروت
- ٥٩) محمد أبو زهرة: زهرة التفاسير: دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م
- ٦٠) محمد إقبال: تطور الفكر الفلسفي في إيران، ترجمة حسن الشافعي، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ط ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م
- ٦١) محمد الخضر حسين: موسوعة الأعمال الكاملة، المجلد الرابع (محمد رسول الله وخاتم النبيين)، اعتنى به المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م
- ٦٢) محمد باسل الطائي: الطبع والسببية عند الباقلاني، بحث منشور بمجلة دراسات الجامعة الأردنية، حزيران ٢٠٠٦م
- ٦٣) محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ
- ٦٤) \_\_\_\_\_: تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م
- ٦٥) \_\_\_\_\_: مجلة المنار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٣٢٧هـ، الطبعة الثانية
- ٦٦) محمد عبده: تفسير جزء عم، نشرته الجمعية الخيرية الإسلامية، مطبعة مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٤١هـ
- ٦٧) \_\_\_\_\_: الأعمال الكاملة، الجزء الثالث، الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م
- ٦٨) \_\_\_\_\_: رسالة التوحيد، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م
- ٦٩) محمد عثمان الخشت: الدين والميتافيزيقا عند هيوم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م
- ٧٠) محمد فريد وجدي: الإسلام في عصر العلم، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة
- ٧١) \_\_\_\_\_: المصحف المفسر، مطبعة العلوم بشارع الخليج، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٣٦٨هـ، ١٩٤٨م
- ٧٢) \_\_\_\_\_: دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩١٠م
- ٧٣) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن، أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٩٣م
- ٧٤) محمود شلتوت: تفسير القرآن الكريم، الأجزاء العشر الأولى، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط ١٢، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م

- (٧٥) مصطفى صبري: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، تحقيق أنور الباز، وعامر الجزار، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م
- (٧٦) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م، ج ١، مادة خرق
- (٧٧) نديم الجسر: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، توزيع دار العربية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
- (٧٨) هيكل، محمد حسين: حياة محمد: دار المعارف، الطبعة الرابعة عشرة، ١٩٧٧ م
- (٧٩) ول ديورانت: قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الأول (٢)، ترجمة محمد بدران، والجزء الأول من المجلد العاشر (٣٩)، ترجمة فؤاد أندراوس وعلي أدهم، دار الجيل، بيروت - لبنان، ١٤٠٨، ١٩٨٨ م
- (٨٠) يمني طريف الخولي: الطبيعيات في علم الكلام من الماضي إلى المستقبل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٥ م
- (٨١) \_\_\_\_\_: فلسفة العلم في القرن العشرين، ضمن سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد ديسمبر ٢٠٠٠ م، رقم العدد ٢٦٤

### كتب باللغة الأوردية

- (٨٢) سيد أحمد خان: الخطابات الأحمديّة في العرب والسيرة المحمديّة، دوست ايسوسي اينس، ناشران وتاجران كتب، الكريم ماركيث اردو بازار، لاهور